obeikan.com

وأنتم لا تعلمون

وأنتم لا تعلمون

قصص

أميرة توفيق

الإسكندرية : حسناء للنشر

الطبعة الأولى :٢٠١٧

978 ISBN-977-6535-67-1

رقم الإيداع : ١٦٥٥٤/ ٢٠١٧

ديوى : ٨١٣

١٢٨ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

حسناء للنشر

الإسكندرية ، ج . م . ع

٠١٠١٨٨٣١٣٦١

٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧

المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار

الإخراج الفنى : أمير مصطفى

obeikan.com

وأنتم لا تعلمون

مجموعة قصصية

أميرة توفيق

حسناء للنشر

obeikan.com

obeikan.com

نصف وجه

أعلنت الساعة تمام السابعة والنصف صباحاً حينما وصلت (منى) محطة الحافلة وقد أخذت تفرك كفيها في محاولة لتدفئتهما إثر البرد الشديد، ثم انطلقت منها عطسة تلو الأخرى مسحت بعدها أنفها بمنديل ورقي في تعب، حتى وصلت صديقتها (هاجر) أخيراً إلى المحطة ووقفت بجوارها قائلةً: هل مازال البرد يلازمكِ ؟

أجابتها (منى) وهي ترتجف: إنه يحبني أكثر من اللازم ولا يبغي مفارقتي على ما يبدو. ثم انطلقت منها عطسة أخرى فأخذت تبحث في حقيبتها وهي تقول في جزع : يا إلهي !! ..

obeikan.com

لقد نفدت المناديل الورقية ومازلنا في بداية اليوم، ما العمل الآن ؟

- لا عليكِ، بجوار المدرسة رجلٌ طيبٌ يبيع المناديل، ابتاعي منه ما يلزمكِ عندما نصل.

تساءلت (منى) في دهشة: رجل يبيع مناديل ؟ !! أين هو ؟ أنا لم أر من قبل أي بائع في محيط مدرستنا الموجودة بمنطقة نائية.

- بل هناك واحد .. أنا متأكدة، سأدلكِ على طريقه عندما نصل .

وصلت الحافلة في تلك اللحظة واستقلتها الفتاتان حتى وصلتا إلى المدرسة، فصحبتها (هاجر) إلى طريق جانبي يجاور مدرستهما ثم أشارت بيدها قائلة: ها هو ذا.. عم (مسعد) بائع المناديل .

اتجه بصر (منى) إلى حيث أشارت لترى رجلاً عجوزاً بادي الطيبة، يجلس على قارعة الطريق بجواره صندوق صغير يحوي العشرات من أكياس المناديل الورقية، فاتجهت إليه في تردد وهي تقول : هل لي في كيسين من المناديل؟

ابتسم الرجل الطيب حينما رآها هي و(هاجر) ثم ناولها ما طلبت، فامتدت يدها له بنقود تزيد عن سعر المناديل، فما كان منه إلا أن أخذ منها ثمن المناديل فحسب ثم أعاد إليها الباقي قائلاً: هذا هو سعر المناديل فحسب يا بنيتي.

تناولت (منى) النقود من يده وانصرفت وهي في دهشة شديدة ثم قالت: كيف عرفتِ هذا الرجل ؟ ولماذا لم أره من قبل ؟

أجابتها (هاجر) في ارتباك: إنه يجلس يومياً في هذا الطريق يبيع المناديل الورقية للمارة، وقد عرفته ذات يوم وأنا أحضر إحدى الدروس في البناية المجاورة له ، وبما أننا نأتي المدرسة بالحافلة فكان من المتعسر أن نراه من هذا الطريق .. هذا كل شيء.

- ولماذا لم يقبل مني ما أعطيته من نقود لأساعده ؟

ابتسمت (هاجر) ابتسامة خفيفة وهي تقول: هكذا هو، لا يتقاضى إلا ثمن ما يبيع فحسب، إنه ليس متسولاً.

هزت (منى) رأسها في دهشة ثم سألتها فجأة: هل ستحضرين درس اللغة الإنجليزية معي اليوم؟

- كلا .. اذهبي أنتِ أولاً وأخبريني بشرح المدرس، ولو كان شرحه وافياً فسأترك الدرس الخصوصي لدى مستر (...) وآتي معكِ.

ثم أشارت بإصبعها محذرة: لكن تذكري أن تحضري معكِ ما يكفي من المناديل .. فليس هناك عم (مسعد) آخر .

قالت (منى) في مرح : لا تخافي .. سأتذكر .

كان البرد قد اشتد على (منى) وهي تعود من الدرس في تلك المنطقة البعيدة وتبغي الوصول لمنزلها في أسرع وقت ممكن لتنعم بالدفء، وبينما هي في طريقها لموقف العربات

التي ستوصلها إذ رأت عجباً .. هل هذا صحيح !! هل هو حقاً ؟ نعم .. إنه هو، عم (مسعد) بائع المناديل العجوز يخرج من بناية شاهقة فخمة مرتدياً ملابس محترمة نظيفة وكأنه شخص آخر، لم تتعرفه في البدء بسبب غرابة مظهره غير المألوف، ثم إنه أتى ليقف بجانبها في موقف العربات وقد أصابه الارتباك حينما رآها، أما هي فقد أخذت تتفحصه في دهشة حتى عادت إلى منزلها وتساؤلات عديدة تزدحم برأسها، لم تلبث أن قصت ما رأته على (هاجر) في اليوم التالي وهي تقول في حدة:

- أرأيتِ ؟ إن عم (مسعد) هذا مثل كل المتسولين في الواقع، يجلس ببعض المناديل في هذه المنطقة ليثير شفقة الناس وتعاطفهم فحسب، بينما هو في الحقيقة يسكن في بناية محترمة غالية.

ثم استطردت في تساؤل كأنها تحدّث نفسها: لكنه لم يقبل ما أعطيه من نقود لأساعده .. فلماذا يفعل ما يفعل إذن؟ انتظرت (هاجر) حتى انتهت من حديثها كله ثم قالت في تردد: ليس كل من يجلس جلسته تلك في البارد القارص بصندوق مناديل يبغي إثارة شفقة الناس، ربما كان يحتاج بالفعل للعمل.

قالت (منى) في استنكار: أية حاجة ؟ لقد أبصرته ينزل من بناية محترمة غالية بجوار الحي الذي حضرت الدرس به، وكان في هيئة مختلفة، إنه رجلٌ مخادع .

عادت (هاجر) تقول في حدة: ولُم لا يكون يعمل هناك في تلك البناية ؟

- يعمل !! وماذا يعمل إذن ؟ حارس عمارة؟

هزت (هاجر) رأسها نفياً وهي تقول : لا .. بل ساعي في إحدى الشركات الكبرى بالبناية.

اتسعت عينا (منى) وهي تقول في استنكار : وكيف عرفتِ؟

خفضت (هاجر) رأسها في حرج وهي تقول بصوت خافت : لأنه أبي .. عم (مسعد) هو أبي.

رمقتها (منى) في دهشة وهي تكمل: أبي يعمل ساعياً في إحدى الشركات الكبرى الملحقة بالبناية الشاهقة التي رأيتِه ينزل منها، وبما أننا أسرة كبيرة فإن مرتبه بالكاد يكفينا، وهو رجل عجوز لا يفهم في التجارة ولا يملك حتى المال الكافي لشراء متجر صغير، لذا؛ فما وجد إلا أن يبيع المناديل الورقية بجوار المدرسة صباحاً قبل موعد عمله، ليطمئن عليّ ثم ينصرف إلى عمله.

ساد الصمت بينهما لثوان قطعته (هاجر) وهي تستطرد : أنتِ لم ترين إلا نصف وجه الحقيقة فحسب، لم ترينها كاملة لذا ظننتِ به الظنون، أليس ما يفعله أفضل حتماً من أن يتسول ويأخذ ما ليس له مثلما يفعل الجميع ويثير الشفقة مثلما قلتِ أنتِ ؟

تكلمت (منى) أخيراً وهي تقول بصوت متحشرج :

(هاجر) .. أنا آسفة جداً، لم أقصد مضايقتكِ، أنا لم أكن أعلم.. صدقيني .

obeikan.com

- لا عليكِ .. لقد آثرت إخفاء الأمر لتجنب سخرية البنات، أما الآن وقد عرفتِ فلا مناص من إخباركِ أنتِ على الأقل.

قالت (منى) في حماس: وأنا لن أخبر أحداً، وسأحرص على ان يعرفه الجميع ويبتاعون منه ما يلزمهم من مناديل، إن والدكِ رجل عظيم، وانا حقاً أخطات لأني رأيت فقط ما أريد رؤيته .. رأيت الوجه الآخر للحقيقة فحسب.

* * *

openeikan.com

..وانغلقت الدائرة

ألقى(حسام) نظرة على حافظة نقوده الشخصية، ثم امتدت يده داخلها ليخرج منها ورقة مطوية فردها أمامه في بطء ليلقي عليها نظرة ساخرة قائلاً: معذرة يا صغيرتي .. فقد انتهى وقتكِ .. ثم أخذ يمزق الورقة إلى قطع صغيرة ألقاها في سلة المهملات بجواره، تأملها في حسرة وهو يتنهد وينهض من على مكتبه ليرتدي معطفه الأبيض ويضع سماعة الأذن حول عنقه ثم يغادر الحجرة التي كتب عليها (عيادة الباطنة)، ويسير في أروقة المستشفى باحثاً عن فريسة أخرى.

obeikan.com

وصل (حسام) إلى عنبر المرضى وهو يدور بعينيه في المارة من حوله حتى لمح (غادة)، تلك الممرضة الحسناء التي أتت إلى المستشفى منذ شهر تقريباً وأطارت النوم من عينيه عند رؤيتها، وكم تمنى في قرارة نفسه أن يضمها إلى قائمة الفتيات اللاتي سبقنها ، لم يكن قلقاً بشأن ذلك في الواقع، فهو وسيم وجذاب ويثق تماماً بقدرته كمحترف في الإيقاع بالفتيات، ومن النظرة الأولى أدرك أن (غادة) بالذات تحتاج إلى مجهود .. وصبر.

سار في بطء حتى وقف جوار المريض الذي كانت (غادة) تقوم بضبط المحلول المعلق في وريده، وتظاهر بعد نبضه وسؤاله بعض الأسئلة البسيطة، ثم أصدر لها بضعة تعليمات متظاهراً بالحزم، فأومأت برأسها إيجاباً وهرعت لتنفيذ ما أمر به، من ثم تركها في هدوء وانصرف إلى مريض آخر وعيناه لا تفارقانها حتى انتهت وغادرت العنبر.

غادر العنبر سريعاً وهو ينادي : آنسة (غادة) .. التفتت تلك الأخيرة في بطء إلى مصدر الصوت وتلاعبت ابتسامة واثقة على شفتيها وهي تقول: نعم يا دكتور (حسام)..

نظر (حسام) في عينيها مباشرةً وهو يقول : أأنتِ من ستمضين النوبتجية معي الليلة؟

أجابته في دلال: هذا ما أتى به جدول النوبتجية الشهري الجديد منذ أيام.

أخذ (حسام) يعبث في ذقنه بارتباك وهو يقول : أريدكِ إذن في مكتبي بعد انتهاء عملكِ لنناقش بعض الحالات الهامة من المرضى.

ابتسمت (غادة) ابتسامة ذات مغزى وهي تقول: كما تأمر يا دكتور (حسام).

راقبها هذا الأخير وهي تنصرف إلى عملها ثم انطلق إلى مكتبه وجلس عاقداً ذراعيه خلف رأسه وهو يفكر في شرود، لقد تخلص منذ لحظات من ورقة الزواج العرفي التي كانت تربطه بتلك الحمقاء (ريهام) العاملة بمخزن المستشفى، فتاة صغيرة هي، لم تتجاوز العشرين من العمر، ما إن رأته حتى لمح الإعجاب في عينيها واضحاً، لم تستغرق وقتاً طويلاً في الإيقاع بها وتزوجها بورقة صغيرة، ثم تركها بعد أن أصابه الضجر منها، مسكينة ...

لقد كانت تهيم به عشقاً وعلى استعداد لفعل أي شيء من أجله، لكنه ملّها، ماذا يفعل مع قلبه الذي يصاب بالضجر سريعاً ؟ إنه لا ينوي الزواج ولا يفكر به على الإطلاق، ولماذا يتزوج وحياته أجمل هكذا !! وها هو ذا على وشك الإيقاع بفتاة أخرى، إن (ريهام) كانت الفريسة الثالثة له التي يتزوجها ثم يتعمد اختلاق المشاكل معها ليمزق الورقة بكل هدوء ويبدأ في البحث عن واحدة أخرى .. وهكذا دواليك تمضي الدائرة.

openikan.com

انتزعه من خواطره تلك دخول (غادة) إلى مكتبه فاعتدل في سرعة على مقعده مشيراً لها ان تجلس، فجلست في هدوء ومال هو عليها ليسألها في بطء :

- (غادة) .. أنتِ فتاة ذكية وممرضة ممتازة، وأنا معجب بكِ كثيراً وأريد أن نتعرف أكثر على بعضنا البعض.

ابتسمت في دلال وهي تقول: وهل تشك لحظة أن الشعورَ متبادلٌ !!

حان دوره في الابتسام هو الآخر، فها هي فتاة ذكية بالفعل وقد فهمته من النظرة الأولى، فاستطردت هي في بطء: ما رأيك أن نتقابل غداً في العاشرة مساءً ببدروم المستشفى ؟

- إن قلبي سينتظر الغد بفارغ الصبر .
- حذار أن يتوقف إذن .
- اطمئني .. فأنا قلبي بحال جيدة، لقد أجريت رسم قلب عدة مرات .
- إذن .. أنتظرك غداً ..

فتح (حسام) عينيه ببطء متأملاً المكان الذي يرقد فيه على ظهره، كانت غرفة باردة شبه مظلمة، تحوي أشخاصاً لم يتعرفهم على الفور، حاول أن يلعق شفته بلسانه ليتخلص من الجفاف الشديد في حلقه إلا أنه شعر بالخدر يسري في كل اطرافه، فجسده سليم لكنه لا يقوَ على الحراك، حتى

أطل عليه فجأة وجه (غادة) مرتدية كمامة طبية وزي العمليات كاملاً ، وهي تقول :

- لقد أفاق يا دكتور.

أتى شخص آخر لم يتبينه ليقف بجوارها ثم سألها :

إن علاماته الحيوية ممتازة، ألا يوجد عضو آخر يمكننا الاستفادة منه سوى كليته ؟

انتفض (حسام) لدى سماعه العبارة الأخيرة، وحاول أن يصرخ أو يهرب لكنه لم يستطع وكأنَّ جسده قد أصابه الشلل وهو يستمع في هلع شديد إلى (غادة) التي أجابت في هدوء: لقد أخبرني أن قلبه بحال جيدة، ولدينا عميل يبغي قلب طازج بصورة عاجلة وسيدفع مقابله مليون جنيه .

كان الجنون قد أصاب (حسام) وهو يحاول أن يحرك أطرافه أو يصرخ، وعيناه تدوران بينهما كالحبيس، والشخص الآخر يقول: إذن لنفعل ذلك، سنضحي بحياة فرد واحد في سبيل حياة الآخرين .. بالمليون جنيه.

ثم انطلق يضحك ساخراً وابتعد تاركاً (غادة) تلتقط محقناً، وتملؤه بسائل معين، علم منه أنه لن يفيق مطلقاً ، فلم يملك إلا أن تتساقط دموع الذل والعجز من عينيه بينما هي تطلق السائل في عروقه وقد ملأه الندم واليأس وهو يغمض عينيه في استسلام .. لآخر مرة.

❊ ❊ ❊

انعكاس

بدا السخط على وجه (حازم) وهو يدلف إلى مكتبه ويجلس عليه في غضب واضح، فسأله (علاء) : ماذا هناك ؟ هل تشاجرت مع المدير من جديد.

أجابه (حازم) في انفعال: أنا لا أجد أي مبرر لتأخيره ترقيتي كل هذا الوقت، فأنا أقدم من عمل في هذه المؤسسة، ومنذ أول يوم وطأته قدماي وهو يسيء معاملتي ويراقب كل صغيرة وكبيرة بشأن عملي، ويوبخني على أي خطأ ولو بسيط، ولو كان مجرد تأخيري بضع دقائق عن العمل فإنه يخصمه من راتبي ، وفوق كل ذلك يؤجل ترقيتي على عكس بقية الزملاء.

obeikan.com

نهض (علاء) من خلف مكتبه واتجه إليه ليقول مهدئاً :

- اهدأ يا صديقي، كل شيء سيحل بالصبر، هتف (حازم) في استنكار شديد: أي صبر هذا !!

إنه المدير منذ تسلمت العمل هنا، ومن يومها لم يتغيب ولو يوماً واحداً، منذ أتيت هنا وأنا أقاسي هذا الجحيم ولا أجد لذلك سبباً.

تنهد (علاء) قائلاً: أنت تعلم أنني قمت بسؤال مدير مكتبه عن سر معاملته السيئة لك، فكانت الإجابة أن تلك طبيعته مع الموظفين المجتهدين ليدفعهم إلى المزيد من الاجتهاد.

- وهل هذا هو الأسلوب الأمثل في نظره لمكافأة الموظفين المجتهدين ؟ إن هذا الضغط العصبي الذي يتسبب لي فيه قد يدفعني دفعاً إلى التقدم باستقالتي والعودة إلى بلادي .

- هوّن عليك يا (حازم)، لِم لا تنظر للأمر من ناحية أخرى! إنك تعيش في منزل جميل واسع مجهز بكل وسائل الرفاهية مع عائلتك وزوجتك، ومستواك المداي وراتبك لا بأس به، وكل هذا بسبب عملك الذي تود الاستقالة منه، حياةُ لو كنت ظللت في بلدك لم تكن لتحظى بربعها إلا بعد سنوات طويلة من الصبر والكفاح.

ابتسم (حازم) على الرغم منه قائلاً: أشتم رائحة الحسد في كلامك.

ضحك (علاء) قائلاً: أي حسد !! إنني فقط أذكرك بالجانب المشرق للحياة، انظر للجانب المليء من الكوب.

ثم أردف وهو يعود إلى مكتبه: ثم إنني لم أتزوج باختياري، أجد نفسي لست مؤهلاً لتكوين أسرة بعد.

- بمناسبة الحديث عن الأسرة .. ما خططك مساء اليوم؟

أجاب (علاء) في لامبالاة: اليوم قد أذهب للمتجر الكبير لشرء بعض الأشياء .

- أنا أيضاً سأذهب مع عائلتي لشراء مستلزمات المنزل ، وفرصة جيدة لك كي تستفيد من خبرتي وخبرة زوجتي في الشراء بدلاً من أن يتم خداعك كالمعتاد ؛ هل نتقابل في التاسعة مساءً ؟

- إنه موعد مناسب .. اتفقنا.

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى تمام التاسعة والنصف مساءً حينما دلف (علاء) من باب المتجر باحثاً عن (حازم) حتى وجده قد بدأ التسوق بالفعل مع زوجته وابنيه تصحبهما الخادمة الفلبينية، فحياه بيده في حماس ثم اتجه إليه قائلاً :

قد تأخرت كعادتي .. معذرةً.

حيته زوجة (حازم) بتحية عابرة بينما صافح هو الطفلين، وأخذ يداعبهما في مرح، وينتقي معهما بعض الأشياء، حتى تناهى إلى مسامعه فجأة صوت زوجة (حازم) وهي تقول في عصبية :

ألا تعرفين كيف تحملين الحقائب ؟

حانت منه نظرة إلى الزوجة فوجدها توبخ الخادمة الفلبينية التي بدا على وجهها الإحراج الشديد، فمط شفتيه في لامبالاة وعاد يكمل التسوق، لكنه رغماً عنه أخذ يراقب الخادمة ويتأمل تصرفاتها داخل المتجر، فوجدها تنظر لما حولها بانبهار بل وأمسكت بيدها إحدى لعب الأطفال وبدا في عينيها شغف غريب إلا أن اللعبة سقطت منها أرضاً فانحنت لتلتقطها فهتف بها أحد الطفلين في حدة:

- ألا تنتبهين للأشياء ؟ التفتت الزوجة إثر صيحة ابنها وصاحت بدورها في قسوة: لا أريد أية ضوضاء، ماذا فعلتي ثانية ؟

أجاب ابنها: لقد أوقعت تلك اللعبة يا أمي ..

قالت الزوجة في عصبية: أعيديها إلى مكانها فوراً ولا تعبثين بشيء ثانية .. غبية ..

كان (علاء) يراقب ذلك الموقف بدهشة واستياء بالغين، ومما زاد من استيائه أن (حازم) أيضاً كان يرى ذلك كله لكنه لم يعترض بل أخذ يعامل الخادمة بغلظة هو الآخر كلما تأخرت في اللحاق بهم، لكنه كان يقول لنفسه إن الأمر لا يعنيه، وعاد الجميع للتسوق إلا أن حماس (علاء) للشراء قد تدنى كثيراً، خاصة مع ملاحظته أنهم لم يشتروا أي شيء ولو بسيط للخادمة، حتى سأله (حازم) فجأة: ما نوع المثلجات التي تحبها يا (علاء)؟

رآه ذلك الأخير يقف أمام ثلاجة المشروبات والمثلجات بالمتجر، بينما (حازم) يرمقه متسائلاً فقال بسرعة: لقد

كففت عن شرب المياه الغازية منذ زمن نظراً لأضرارها العديدة، لكن لا داعي لـ...

قاطعه (حازم) قائلاً: إذن ما نوع العصير الذي تفضله؟

- يا صديقي أنا لا أريد شيئاً.
- ستجيب الآن .. اي نوع تريد ؟

أجاب (علاء) مستسلماً:

- إذن ليكن عصير المانجو .

ابتاع (حازم) المثلجات لعائلته كلها وابتاع المانجو لـ(علاء)، وبينما ذلك الأخير يرشف بضع رشفات إذ لاحظ نظرات الخادمة إليهم جميعاً وهم يتناولون المثلجات، والحسرة والذل يطلان من عينيها في أقسى صورهما.

فقد تجاهلها (حازم) بالطبع ولم يبتع لها شيئاً تاركاً إياها ترمقهم في صمت، فجال بذهن (علاء) أنها بالتأكيد من عائلة فقيرة في بلدها، فما الذي يجعلها تأتي إلى بلد غريب وتحتمل تلك المعاملة القاسية غير الآدمية سوى الفقر ؟!!

وجد نفسه فجأة يتجه إلى حيث ثلاجة العصير والمشروبات ليبتاع زجاجة أخرى أمام نظرات (حازم) المتسائلة والتي تحولت إلى ذهول حينما أعطى تلك الزجاجة إلى الخادمة مبتسماً، فبدت علامات الامتنان الشديد على تلك الأخيرة، بينما صمت (حازم) وإن أطل تعبير غريب من ملامحه

obeikan.com

وأطرقت زوجته للأرض وكأنها لم تر شيئاً، فمال (علاء) على أذن (حازم) قائلاً في لهجة ذات مغزى:

- أظن أنك علمت اليوم سبب معاملة مديرك السيئة لك ولن تشكو بعد الآن .. أليس كذلك ؟

❋ ❋ ❋

obeikan.com

من أجل الشيكولاتة

"لقد أكلت قطعة من الشيكولاتة التي بالثلاجة .. أليس كذلك يا (عاطف) ؟"

نظر (عاطف) الصغير الذي لم يتعد الثامنة من عمره إلى أمه التي سألته للتو في تردد، ثم أجاب بعد هنيهة من الصمت: بلى يا أمي.

اتجهت إليه (نوال) أمه، وأمسكت بذراعه في قوة لتقول في غضب: ألم ينهك الطبيب عن تناول الشيكولاتة ؟ لقد حذرك من تناول الحلوى بكثرة وخاصة الشيكولاتة، إن أسنانك في خطر يا بني ..

قال (عاطف) في ضراعة: لكن الطبيب انتهى من معالجة ضروسي جميعها منذ فترة طويلة.

obeikan.com

عادت (نوال) تقول في حدة: لقد عالجها جميعاً بالفعل، لكن بعدما ذقنا الأمرين من مسكنات وليال طويلة قضيتها متألماً وقضيناها معك في قلق وتوتر ، من المفترض أن تتعلم من تلك التجربة المؤلمة وتقلل من تناول الشيكولاتة، لأنها بالذات تلتصق بالفم والأسنان لمدة طويلة .

ثم أردفت محذرة: إذا رأيتك تتناولها مرة أخرى فسأخبر والدك .

ثم انصرفت وتركت الأسى والحزن يرتسم على ملامح وجهه، وجلس مهموماً لبضع دقائق يفكر حتى تهللت أساريره فجأة وارتسمت على ثغره ابتسامة خبيثة وهو يقول: لقد وجدتها .. علمت أين سأخبيء الشيكولاتة من أمي .

❋ ❋ ❋

اتجهت (نوال) إلى الموقد ووضعت بعض الماء على النار ليغلي ثم امتدت يدها تلقائياً إلى برطمان الشاي، لكنها تراجعت وأخذت تفكر لثوان قبل أن تبحث عن برطمان النسكافيه الخام الأسود لتفتحه وتضع ملعقة كبيرة منه في الكوب وتصب عليه الماء المغلي وهي تتنهد في إرهاق، لقد كان يوماً غريباً كله، استيقظت من نومها متأخرة على غير عادتها لتجد أن زوجها قد ذهب إلى عمله بدون إفطار، دخلت لتتوضأ وتصلي؛ ففوجئت

بأن المياه مقطوعة مما اضطرها إلى أن تتناول زجاجة مياه من الثلاجة لتتوضأ بها، وزاد مزاجها تعكراً عندما وجدت أن (عاطف) قد ترك كتبه المدرسية مبعثرة في كل مكان بالردهة، فحملتها ورتبتها بنفسها حتى قبل أن تستعد للإفطار، وهي ترغي وتزبد من داخلها منتوية على توبيخه إثر هذا.

عادت تتنهد مرة أخرى وهي تحمل كوب النسكافيه إلى الردهة، وتشاهد التلفاز بدون تركيز لعل ذلك يهديء من أعصابها الثائرة بعض الشيء .

لم تكد ترشف رشفة من كوب النسكافيه إلا ولاحظت أن طعمه مختلف، أتراها زادت من كمية السكر بينما هي شاردة ؟ مذاقه غريب، كأنها تشرب عسل ، لكنها برغم ذلك أكملت كوبها كله وذهبت إلى المطبخ لتعد الغداء، وبعد فترة قصيرة استيقظ (عاطف) من نومه قائلاً في كسل : صباح الخير يا أمي ..

التفتت إليه في حدة وهي تقول في عتاب: لِم لم ترتب أوراقك وكتبك المتناثرة في الردهة بعد إنهائك مذاكرتك أمس ؟

عقد حاجبيه مفكراً لثوان ثم قال وكانه تذكر : آسف يا أمي .

عادت تعد الغداء لبعض الوقت وقد أشعلت جهاز الراديو بجوارها، ولم تنتبه إلا وقد أخذ مغص بسيط يشق بطنها، تجاهلته في البدء، ثم لم تعد تحتمل،

فاتجهت إلى الحمام بسرعة و(عاطف) يرمقها في دهشة وهي تخرج منه وعلى وجهها علامات الإعياء الشديد لتقول: إسهال عنيف، لا أدري مم أصابني !! إنني حتى لم أتناول طعام الإفطار.

أجابها في براءة : ربما لهذا السبب أصبتِ بالإسهال.

همت أن تجيبه لكن الألم بدا على وجهها لتهرع إلى الحمام مرة أخرى و(عاطف) يراقبها في صمت ، حتى انتهت خيراً وارتمت على إحدى مقاعد الردهة في إعياء شديد، وقد أغمضت عينيها في ألم وهي تمسك بطنها، ظلت صامتة بعض الوقت ثم فتحت عينيها في إرهاق وهي تسأله قائلة: هل تناولت إفطارك ؟

- نعم يا أمي، صنعت لنفسي شطيرة وأنتِ منهمكة في إعداد الغداء .

- سأعد الإفطار لك، لابد أن تهتم بإفطارك حتى تتفرغ لمذاكرتك بعد ذلك .

بدا على وجهه الضيق إثر ذكرها لأمر المذاكرة، بينما أخذت هي تفكر بصوت مسموع قائلة: إنني لم أتناول سوى النسكافيه .. فماذا حدث ؟

ثم لمعت عيناها فجاة ونهضت من مقعدها بنشاط مفاجيء وهي تجذبه نحوها قائلة: أين اخفيت الشيكولاتة يا (عاطف)؟

رمقها هذا الأخير في خوف ولم يجب، بينما أردفت هي : سأخبرك أنا .. لقد طحنتها وأخفيتها ببرطمان

obeikan.com

النسكافيه الذي لم أمسَّه منذ زمن، ولسوء حظك أنني شربت منه اليوم مما تسبب لي بالإسهال .. أليس كذلك؟

- كلا يا أمي ، أقسم لكِ.

حدجته بنظرات حادة لثوان كاد المسكين أن يبكي رعباً بسببها، قبل ان تجذبه من ذراعه وهي تنهض قائلة : أنت كاذب .. وسأثبت لك.

اتجهت به إلى المطبخ لتجذب برطمان النسكافيه وتريه إياه قائلة: سأسألك لآخر مرة .. ألم تضع الشيكولاتة في برطمان النسكافيه يا (عاطف) ؟

هز رأسه نفياً في صمت وقد بدا الألم على وجهه جزاء جذبها الشديد لذراعه، فمطت شفتيها في عدم رضا وهي تتأمل برطمان النسكافيه في شرود، ولم تمض ثوان حتى اتسعت عيناها في هلع وهي تهتف : يا إلهي ..

رمقها (عاطف) في تساؤل فأردفت وهي تفلت ذراعه من أصابعها: إن هذا النسكافيه منتهي الصلاحية، وهذا سبب ما أصابني .

أخذ الصغير يبكي في حرارة بينما شعرت هي بتأنيب الضمير لما فعلته وظلمها له، فاحتضنته في حنان قائلة :
- أنا آسفة يا (عاطف) .. لقد ظلمتك حقاً.

ثم استطردت مبتسمة: لندع الله أن يقتصر أثر النسكافيه منتهي الصلاحية على الإسهال فقط ولا يمتد لما هو أكثر .

ثم أخذت ترمقه في شفقة قائلة: ولو لم تحدث مضاعفات اخـرى .. أعـدك ان أعطيـك قطعـة مـن الشـيكولاتة .. اتفقنا؟

قالتها وتركته متسع العينين يهتف في هلع : الشيكولاتة!! .. لقـد خبأتهـا فـي خزانـة الإسـعافات الأوليـة والتـي سـتفتحها الآن حتمـاً بحثـاً عمـا يوقـف الإسـهال .. وستشكونـي لأبي ..!!!

ولم يمض ثوان حتى سمع أمه تناديه فجاة في غضب:

- (عاطف) .

❊ ❊ ❊

openkan.com

الحاجز

تعالى صوت الأزيز المميز للهاتف المحمول معلناً عن وصول رسالة جديدة على تطبيق الواتس آب، فارتسمت ابتسامة واثقة على وجه (معتز) فهو وحده الذي يعلم معنى ذلك الأزيز الذي انطلق لتوه من هاتفه، حيث رقد على المقعد المجاور ساكناً ، بينما يقود (معتز) سيارته وقد قاربت الشمس على المغيب وبدأ الظلام يزحف حثيثاُ إثر انطلاق آذان المغرب منذ فترة قصيرة، ومع ذلك لم يتناول (معتز) هاتفه على الفور بل استمر في قيادة سيارته بعض الوقت بنفس الابتسامة الواثقة مضيفاً إليها التماع عينيه الواضح، ثم لم يلبث أن أوقف سيارته على جانب طريق بدا هادئاً نوعاً، ومن ثَمَّ تناول هاتفه وهو يعلم مسبقاً ماهية تلك الرسالة قبل أن يطالعها .. إنها رسالة أخرى من (دارين) ..

obeikan.com

- أين أنت ؟ أبعثُ إليكَ منذ فترةٍ لكن لا إجابة ..

- أجيبيني أنتِ اولاً .. إن هاتفكِ مغلق منذ يومين وخارج الخدمة ، فهل أنتِ بخير ؟

- اطمئن .. أنا فقط في رحلة مع أصدقائي إلى شرم الشيخ وقد قضينا عدة أيام في منطقة بعيدة عن العمران لم تصلها شبكة الاتصالات بعد .

انعقد حاجباه لدى قراءته لجملتها الأخيرة، ثم عاد يسألها :

- ومن هم أصدقاؤكِ هؤلاء ؟

- إنهم أصدقائي وكفى، شباب أو فتيات أو خليط من هذا وذاك ..

صمت (معتز) هنيهة فعادت تسأله: هل ضايقك كلامي؟

أجاب في سرعة: وما شأني لأشعر بالضيق !! هذا شأنكِ، أردت الاطمئنان عليكِ فحسب ..

- وها أنت ذا قد فعلت، سأضطر لإنهاء الحديث الآن لأعود إلى أصدقائي .

أنهى حديثه معها في شرود وقد انتابته مشاعر متباينة أصابته بالارتباك والحيرة، سرعان ما أغمض عينيه في قوة طارداً منها ما اجتاحه من افكار وعاد لقيادة سيارته لمدة قصيرة، حتى أوقفها أمام أحد المنازل، فترجل منها وصعد إلى تلك البناية الصغيرة حتى الطابق الثاني، فتأكد من سلامة مظهره وهيئته لمرة أخيرة قبل أن يطرق باب إحدى الشقق في هدوء.

لم تمض ثوان حتى انفتح الباب عن فتاة صغيرة لم تتعد العاشرة من عمرها، ولم تكد تراه حتى هتفت في مرح : لقد جاء أونكل (معتز) يا أمي ..

دلف ذلك الأخير إلى المنزل في هدوء وهو يربت على رأس الفتاة في حنان معطياً إياها علبة الحلوى التي أتى بها ، ثم التفت إلى تلك السيدة التي قابلته بابتسامة كبيرة قائلة: دائماً في موعدك يا (معتز) .. بلا دقيقة تأخير واحدة، ندر من يحترم مواعيده في هذا الزمن.

أجابها بابتسامة هادئة: إن عدم احترام المواعيد في رأيي من أهم أسباب تأخرنا، فعدم احترام المواعيد يعكس كذلك عدم احترام الزمن والاستهتار به إلى حد لا يوصف .

أطل الإعجاب واضحاً من عيني السيدة وهي تستطرد : إن (زهرة) آتية على الفور، هل أحضر لك عصير البرتقال الذي تحبه ؟

- نعم .. إذا سمحتِ ..

انصرفت تاركة إياه وهو يلهو مع تلك الفتاة الصغيرة ويلاعبها منتظراً مجيء (زهرة) خطيبته التي تقدم لخطبتها منذ فترة قصيرة بناءً على إلحاح والديه، فهو لم يكن يرى في الزواج مثل ما يراه أقرانه عادةً من الاستقرار والسكن، إنه يعيش حياته كما يحلو له، فقد ترك والديه في الريف ليأتي هو إلى القاهرة بعد تخرجه من كلية الهندسة، ويلتحق

obeikan.com

بوظيفة مرموقة ويبرع فيها كمهندس ناجح وطموح، مكتفياً بزيارة عائلية في نهاية الأسبوع لوالديه .

أما (زهرة) فقد وافق على خطبتها على مضض رضوخاً لرغبات والديه في البداية، ثم وجدها فتاة لا بأس بها، محترمة .. مثقفة .. معلمة في إحدى المدارس الابتدائية، لم يشعر نحوها بأية مشاعر على الإطلاق، اعتاد فقط على تلك الزيارة المنتظمة لها في منزل أهلها وقضاء بعض الوقت معها ومع شقيقتها الصغرى (ياسمين) التي تتواثب في مرح كلما رأته.

أفاق من خواطره تلك على صوت خطوات هادئة، فرفع عينيه في بطء ليرى (زهرة) وهي تدلف إلى الحجرة في هدوء وتبتسم في حرج إثر نهوضه لدى رؤيتها محيياً إياها بكلمات بسيطة، فهو يعرف جيداً انها لا تصافح الرجال، وقد احترم فيها هذا ولم يحاول مصافحتها أبداً، جلست على مسافة بعيدة عنه نسبياً، فالتقط هو نفساً عميقاً رشف خلالها رشفة من عصير البرتقال الذي أحضرته والدتها، ثم سألها بغتة: ما رأيكِ أن نخرج قليلاً للتنزه في سيارتي؟

عقدت حاجبيها في دهشة وهي تسأله: ماذا ؟ نخرج وحدنا؟

- وماذا في هذا .. !! إنني خطيبكِ.

بدا التردد والارتباك على وجهها وهي تقول: لا يمكنني الخروج معك وحدي، فإما ان أصطحب أمي أو أبي.

صمت (معتز) لثوان وقد بدا عليه بعض الضيق ثم عاد يفتح موضوعاً ما مراقباً ردود أفعالها، كانت تتحدث بارتباك

وتعلو حمرة الخجل وجهها أحياناً كلما التقت عيناها بعينيه، فأخذ يعد الدقائق سريعاً حتى وجد أن الوقت قد حان للانصراف، فحياها وحيا والدتها وانصرف سريعاً، وبينما هو يقود سيارته أخذ يرمق هاتفه المحمول في ترقب، ثم لم يلبث أن حسم أمره والتقط هاتفه ليطلب رقماً ما، ولم يكد يسمع صوت محدثه حتى قال: متى ستعودين من شرم الشيخ يا (دارين) ؟

أجابته تلك الأخيرة في استنكار: وماذا يهمك في ذلك؟

أعود وقتما يحلو لي ..

ثم استدركت في سرعة بنبرة ذات مغزى : ماذا .. هل أوحشتُك؟

عقد (معتز) حاجبيه في شدة ثم أنهى حديثه معها بكلمات مقتضبة، وعاد ليراقب الطريق مفكراً بعض الوقت قبل أن يطلق زفرة قوية ويقول كأنه يحدّث نفسه بصوت مسموع : رباه .. ماذا أفعل !! ماذا أفعل !!

❊ ❊ ❊

أخذت أصابع (معتز) تعبث بدبلة الخطبة في يده، وقد استغرق هو في تفكير عميق تاركاً عيناه تتعلقان بجهاز الحاسب الآلي خاصته، ليعيد قراءة تلك الرسالة التي تلقاها على بريده الالكتروني منذ قليل، تلك الرسالة التي ستحدث تغييراً جذرياً في مستقبله كله وقلبه رأساً على عقب.

(السلام عليكم ..

من المؤكد الآن أنك تشعر بالدهشة للجوئي إلى إرسال رسالة خاصة لك بدلاً من التحدث إليك وجهاً لوجه او حتى عن طريق الهاتف، لكن تلك الرسالة بالذات من الأفضل لها أن تقراها وحدك دون لقاء مباشر بيننا ؛ نظراً لأن ما تحويه قد يضطرك إلى اتخاذ قرارات مصيرية تخشى معها مواجهة أهلك أو مواجهتي .

أعلم أنه لا أحد على الإطلاق يعلم بأمر رسالتي تلك ولا بما سأقصه عليك فيها، وليظل فحواها سراً بيننا، الموضوع ببساطة أنني فكرت في إجراء فحص عام على وظائف جسدي بأكمله نظراً لاقتراب موعد زواجنا، وأثناء إجرائي تلك الفحوص أخبرتني الطبيبة أن الإنجاب لديَّ صعب للغاية، وبدون الخوض في أية تفاصيل طبية، فيكفي أن تعرف أنني أعاني من مشكلة ما، قد تعالج بالأدوية لكن بعد وقت طويل ونتائج غير مضمونة .

وبالمناسبة .. أنت اول من أخبره بهذا الأمر، وآخرهم في الواقع، فقد قفز اسمك إلى ذهني فور علمي بحالتي تلك، فهذا حقك ، وحقك أيضاً أن تنهي خطبتنا لأي سبب تراه مناسباً .. أي سبب، وأنا ساوافقك عليه ليترك كل منا الآخر في هدوء، وتبحث أنت عن فتاة مناسبة تصير أماً لأطفالك، منذ تلك اللحظة أنت حر .. لم نعد مرتبطين، ويمكنك أن تمضي حياتك كيفما تشاء ..

زهرة)

كانت تلك هي الرسالة التي تلقاها (معتز) على بريده الإلكتروني منذ قليل، وما إن التهم كلماتها في سرعة حتى انتابته فجأة عدة مشاعر متناقضة، فانقسم إلى جزأين ..

إحداهما كان يشعر بالسعادة تغمره لتخلصه من تلك العلاقة التي أرغم عليها منذ البداية، أما الجزء الآخر فكان حزيناً لفراق (زهرة) بعد ما رآه فيها من مميزات قل أن يجدها في فتاة الآن، إذا انفصل عن (زهرة) .. فهل سيتزوج (دارين) ؟ انتفض في قوة إثر مرور هذا الخاطر في ذهنه، فـ(دارين)لا تصلح زوجة، لا يمكن لفتاة مثلها أن تصبح أماً لأطفاله، والحقيقة أن(زهرة) كانت تصلح لذلك أكثر، ولو ترك العنان لعقله لاختارها بلا تردد.

كان جزء بداخله كان معجباً بـ(دارين) وشخصيتها وتمردها على قوانين المجتمع البالية، كأنه مصاب بمرض انفصام الشخصية الذي شاهده على التلفاز ورأى أن المريض فيه يعاني من تصارع شخصيتين بداخله، بالفعل هو مصاب بالفصام .. لكنه فصام من نوع آخر .

كان يشعر أن هناك حاجزاً داخل عقله يحول بينه وبين اتخاذ القرار الصحيح، حاجز يحول بينه وبين رؤية الصواب، فتنهد في عمق وأغلق جهاز الحاسب كله وقد أزمع على أن يواجه أهله بقرار انفصاله عن (زهرة)، لكنه مازال يبحث عن سبب مقنع قبل أن يتناهى إلى مسامعه صوت والده وهو يتحدث في حدة إلى أخيه (أمجد)، فخرج (معتز) من حجرته ليجد والده يقول في عصبية : أريد منك

الآن قراراً نهائياً .. هل ستسافر للعمل في الخارج أم تكتفي بالوظيفة التي عرضتها عليك ؟

بدا التردد على وجه (أمجد) وصمت في ارتباك فرمقه والده بنظرة يملؤها العتاب ثم أردف: أمازلت متردداً ؟

لقد تعبت كثيراً حتى حصلت لك على تلك الوظيفة لدى أحد اصدقائي، وأنت منذ تخرجك وأنت تنوي أن تسافر للعمل بالخارج، لكنك لم تتخذ خطوة إيجابية حتى الآن، أو تستخرج جواز سفر حتى، والآن صديقي يريد مني ان أبلغه بقبولك أو رفضك للوظيفة وأنت مازلت متردداً !!!

صمت الوالد قليلاً ليتناول جرعة من الماء يبلل بها حلقه الجاف وهو يكمل: أتعلم يا (أمجد) .. أنت لا تريد أي شيء، لا سفر ولا وظيفة، لا تريد حسم أمرك، بل أنت حتى لا تلعم ماذا تريد بالضبط، هل تتصور أن النقود ستهبط عليك من السماء أو أن النجاح سيطرق بابك في لهفة دونما تعب أو مجهود؟

كانت كلمات الوالد بمثابة القبضة التي انهالت على ذلك الحاجز العقلي بداخله ونسفته نسفاً، كأنما أفاق للتو من غيبوبة عميقة، فعاد إلى حجرته ليرتدي ثيابه وقد حسم أمره.

اتسعت عينا (زهرة) في دهشة بالغة وهي تنظر إلى (معتز) الذي يقف على باب منزلها مبتسماً ابتسامة واسعة وقد حمل في يده باقة من الزهور، ثم دلف إلى المنزل وهو ينظر إلى عينيها مباشرة ويسألها بغتةً: هل تقبلين الزواج مني؟

خفضت عينيها إلى الأرض في خجل وارتباك وهي تقول :(معتز) .. أأنت واثق من قرارك هذا ؟ أم لعلك لم تقرأ رسالتي؟

- نعم، لقد قرأتها، ولهذا أنا هنا .

ثم أردف في جدية : من حقي أن أنهي خطبتنا كما قلتِ في رسالتكِ، لكنني أتيت الآن لأخبركِ أنني أوافق على ظروفكِ التي ذكرتها، وسأتحملها حتى لو قضينا عمرنا كله بدون إنجاب، أنتِ فتاة رائعة يا (زهرة)، وستكونين زوجة رائعة وأماً ناجحة، وإن لم تكوني أماً لأطفالي فاعتبريني إذن طفلكِ الوحيد .

اصطبغ وجهها كله بحمرة الخجل التي بدت له في تلك اللحظة أجمل مشهد وقعت عليه عيناه، وساد الصمت بينهما للحظات قبل أن تقول هي في خفوت: سامحني يا (معتز).

عقد حاجبيه في تساؤل فأردفت: لقد كذبت عليك، ذهبت للطبيبة بالفعل لكنها وجدت أن كل شيء طبيعي، وما ذكرته لك في رسالتي غير حقيقي .

أتى عليه الدور ليصاب بالدهشة البالغة، وهو يسألها :

- ولكن لماذا ؟

أجابت وهي تبتسم ابتسامة خفيفة : أتظنني لم أشعر أنك مرغم على زواجنا، وأنك لا تحبني حقاً بل تقدمت لخطبتي إرضاءً لأهلك ورضوخاً لرغبة والديك ؟!!

لقد شعرت بهذا في كل لحظة، وأن زيارتك لي لم تكن إلا بمثابة الواجب الثقيل الذي تقوم به في صبر، وأنك تريد إنهاء خطبتنا لكنك في نفس الوقت تخشى غضب أهلك، لذا فقد راودتني تلك الخطة الساذجة كي أريحك من تلك الحيرة وأرفع عنك الحرج، لكنك فاجئتني اليوم بما لم أتوقعه مطلقاً .

رمقها في لحظات غير مصدق ثم قال مبستماً: أنتِ محقة في شعوركِ السابق، لكن كل ما في الأمر أنني كنت مصاباً بالفصام، وقد شفيت الآن على يديكِ .

رددت في دهشة : فصام ؟

- لا عليكِ .. الآن يمكنني الاتفاق على موعد عقد قراننا مع والدكِ، ثم أردف وقد تذكر: لقد قمت بتغيير رقم هاتفي ولن أعطيه إلا لأشخاص معينين في حياتي .. وأنتِ أولهم.

❋ ❋ ❋

ol-ketab.com

حلقة الدموع

تراصت على المائدة أصناف شهية مما لذ وطاب من الطعام، يكفي مرآها لإثارة شهية أي شخص حتى لو كان يشعر بالشبع ولا يطيق الطعام، فقد كانت تشبه موائد الطعام التي تظهر في التلفاز ويسيل لعاب المشاهدين لرؤيتها .

لم تمض لحظات حتى جلس (مجدي) على تلك المائدة وقد برقت عيناه في لهفة وبدأ بتناول الطعام في شهية واضحة، بينما أخذت زوجته (سارة) تتناول طعامها ببطء وهي تتأمله بين الحين والآخر في حب، ساد الصمت بضع دقائق تصاعد خلالها صوت القضم والمضغ والازدراد، حتى قطع هو ذلك الصمت وهو يسألها : أين (ريم) ؟ ألن تأتي لتتناول غداءها ؟

obeikan.com

- إنها تحضر درس اللغة الإنجليزية عند الجيران، مازال يتبقى ساعة على موعد وصولها، أومأ برأسه في تفهم ثم عاد يواصل غداءه بعض الوقت حتى نهض من المائدة، فأسرعت تسأله في لهفة : هل أعجبك الطعام ؟

أجابها في اقتضاب: نعم أعجبني، سلمت يداكِ.

ابتسمت في سعادة وبدأت بجمع الأطباق وتنظيم المائدة، وما إن انتهت حتى وجدته قد أخذ يعبث في هاتفه المحمول فسألته: هل تريد الشاي الآن ؟

أجابها في خمول: كلا .. ليس الآن .

صمتت للحظة ثم عادت تسأله: لقد صنعت عصيراً طازجاً.. هل أحضر لك بعضه ؟

- إنني متخم بالطعام الآن، ولا مكان في معدتي لشيء آخر.

صمتت برهة وهي تتأمله وقد ألقى هاتفه المحمول وأخذ يدير قنوات التلفاز في عدم اكتراث، فسألته مرة أخرى : لقد صنعت صينية بسبوسة بالقشدة، هل أحضر لك قطعة ؟

أجابها في نفاد صبر: عزيزتي .. إذا احتجت لأي شيء فحتماً سأخبركِ .

ثم عاد يسألها: هل ستظلين هكذا ترمقيني فحسب ؟ ألا يوجد أعمال أخرى تنتظركِ في المنزل ؟

- أنت تعلم أنني أنهي كل أعمالي المنزلية قبل مجيئك ؛لأتمكن من الجلوس معك كما تشاء.

مطَّ شفتيه في عدم رضا ثم التفت إليها وأغلق التلفاز، وبدا عليه التردد والارتباك بعض الشيء وهو يقول : بما أن (ريم) ليست هنا، فهذه فرصة جيدة لأخبركِ بموضوع هام.

تهللت أساريرها حين شعورها باهتمامه وبأنه اخيراً سيتحدث معها، لذا فقد هتفت في حماس: كلي آذان صاغية.

بدا مرتبكاً لثوان ثم حسم أمره فجأة وهو يقول :

- سأتزوج الأسبوع القادم .

بدا عليها الذهول وعدم التصديق، ثم سألته في خفوت :

- ماذا قلت ؟
- قلت أنني سأتزوج الأسبوع القادم، وسأغيب عن المنزل أسبوعاً كاملاً .

ألجمتها المفاجأة بحق؛ فلم تستطع التفوه ببنت شفة، أما هو فقد نهض واتجه إلى غرفة النوم بينما ظلت هي لم تبرح مكانها لفترة طويلة، حتى نهضت هي الأخرى وتبعته إلى الداخل قائلة: هل ستتزوج عليّ حقاً ؟

- نعم سأفعل ، ما الغريب في ذلك ؟
- وأنا .. ماذا ستفعل بي ؟
- اطمئني .. أنتِ ستظلين في منزلكِ كما هو وكذلك (ريم) ، فقد ابتعت لها منزلاً جديداً وقمت بتأثيثه أيضاً.

كانت في حالة صدمة تامة، وخيل إليها أنها ترى شخصاً آخر حتماً، بينما ظلت ملامحه هو هادئة كأنه يخبرها بأمر عادي، ثم قالت: لماذا ستتزوج ؟ هل قصّرت في واجباتي المنزلية ؟

- كلا يا (سارة)، أنتِ زوجة ممتازة وطاهية بارعة ولم تقصري في شيء .

بدت الحدة في صوتها وهي تهتف : لماذا ستتزوج إذن؟

- لأنني أريد زوجة يا (سارة)، زوجة لا طاهية ولا امرأة كل ما يهمها ارتفاع أسعار الطماطم ولف أوراق المحشو بطريقة سريعة، أنا أريد امرأة لا تحاصرني في المنزل كظلي، أريد امرأة ذات طموح وحياة خاصة بها بعيداً عني.

اتسعت عيناها في دهشة بالغة وكأنها تسمع منه هذا الحديث لأول مرة، ثم هتفت في استنكار: الآن تتضجر من اهتمامي بك ؟ الآن ترى أنني احاصرك ؟ لقد أشعلت لك أصابعي العشرة شمعاً، تركت كليتي في العام الثاني لأتزوجك، ومن يومها أصبح إرضاؤك أولى اهتماماتي، حتى عندما أنجبنا (ريم) لم أنشغل عنك.

- وهذا ما أقصده، لقد أنجبنا (ريم) بعد عام أو أكثر من الزواج، لِم لم تسعين في تلك الفترة لإكمال تعليمكِ؟

- أنا لم أطلب منكِ أن تتركي كليتكِ لأجلي، بل كنت مرحباً بإكمال تعليمكِ أثناء الزواج، أنتِ من اخترتِ أن تتركي الكلية بأكملها وتتفرغي لي، وتحجَّجْتِ بأنكِ لن تستطيعين التوفيق بين المنزل والدراسة، بالرغم من أن فتيات كثيرات

يفعلن ذلك بل ويسعين لنيل شهادات عالية أخرى بخلاف التعليم الجامعي، بعد أن تتزوجن وأنجبن . صاحت في انهيار: بكل تلك البساطة تخبرني بأمر زواجك!! واهتمامي بك الآن أصبح يخنقك!!

ألم تكن موظفاً بسيطاً حينما تقدمت إليّ، وقد صبرت عليك وعلى وضعنا المادي البسيط لسنوات حتى ترقيت في عملك؟

أجابها منهياً الحوار : كل ما قلتيه لن يغير شيئاً، سأتزوج الأسبوع القادم وأسافر، هذا كل شيء.

أخذت دموع القهر تنسال من عينيها بغزارة، وهي تراه يدلف إلى الفراش في هدوء وكأن شيئاً لم يكن، ثم قال قبل أن يستغرق في النوم: وبمناسبة الأصابع العشرة التي أشعلتها لي شمعاً .. كان يكفيكِ إشعال إصبعين أو ثلاثة فقط وتتركي الباقي لكِ .

- وهل علمتِ من تكون ؟

أجابت (سارة) بعينين مغرورقتين بالدموع: كلا .. لم يهمني وقتها أن أعلم، لقد جمعت أشيائي وأشياء ابنتي وانتظرت تلك الأخيرة حتى أتت من الدرس ثم غادرنا المنزل إلى هنا، ولم أعلم عنه شيء بعدها حتى الآن.

- وهل تظنين أن ذلك هو الحل؟

هتفت (سارة) في انهيار: حتى لو لم يكن هو الحل، فماذا كان بيدي لأفعله سوى ذلك؟ لقد غادرت المنزل معترضة على زواجه، وعلى حديثه معي وعلى كل شيء.

obeikan.com

- لكنه لن يعير اعتراضكِ هذا أدنى انتباه، ومن المؤكد أنه قد تزوج بالفعل في موعده، وأنتِ تعلمين ذلك.

- أعلم ، لكني أعترض بطريقتي وهذا ما أملكه، هل كنتي تريدين مني أن أظل في المنزل أقوم على خدمته وأنتظره حتى يتزوج ويعود لي من شهر العسل ؟ كلا .. إن كرامتي تأبى ذلك، إنني حتى لا أطيق النظر إلى وجهه منذ ذلك الحين.

- وهو لم يسأل عنكِ طيلة هذه الفترة ؟

هزت رأسها نفياً وهي تقول في مرارة: كلا، لم يتصل بي أو بأحد من اهلي حتى، كأن مغادرتي للمنزل كانت إحدى امنياته، وهأنذا قد حققتها له .

ثم برقت عيناها فجاة في تحدٍّ قائلة: سأتصل به أنا لأعلم أين هو الآن.

صاحت بها شقيقتها (إسراء): وما الذي سيفيدكِ من ذلك؟

أجابتها وهي تلتقط هاتفها بالفعل : أريد أن أعرف هل هو لديها أم في العمل.

لم تكد تلتقط هاتفها حتى زفرت في شدة وهي تقول في سخط : تباً .. لقد انتهى شحنه، لا يهم، فسأجري الاتصال من هاتف (ريم) .

كان ذلك الأخير ملقى على إحدى مقاعد الردهة فتناولته وهي تصيح بصوت عالٍ: (ريم) .. سأستخدم هاتفكِ لإجراء مكالمة.

أتاها صوت الفتاة من الداخل وهي تقول : لا أسمعكِ يا أمي .. ماذا تقولين؟

سألتها (إسراء) : وهل علمت (ريم) بالأمر؟

- بالطبع علمت، إنها ليست طفلة، هي في الحادية عشر الآن .

قطعت جملتها وهي تفتح هاتف ابنتها لتتصل ب(مجدي) ولم تكد تفعل حتى اتسعت عيناها في هلع وهي تقلب في الهاتف فصاحت بها (إسراء): ماذا هناك؟

لم تجب (سارة) وإنما اسرعت إلى حيث ابنتها تستقر في حجرتها فاقتحمت الحجرة عليها، وأغلقت الباب فبدا الخوف على وجه (ريم) وهي تقول : ماذا هناك يا أمي؟

- ما هذه الصور التي على هاتفكِ ؟

ألقت الفتاة نظرة على الصور ثم قالت في رعب : إنها صوري، أنا لم أقم بإرسالها لأحد قط، لقد التقطتها لنفسي فحسب .

عادت (سارة) سألها في قسوة: ومن أين أتيتِ بالملابس التي ترتديها في تلك الصور؟

- إنها ملابسكِ، وجدتها في دولابكِ، وقد كففتِ عن ارتدائها منذ زمن .

- ومن أين تعلمتِ تلك الأوضاع في التصوير ؟

- لقد .. لقد رأيت الممثلات في التلفاز يفعلن ذلك.

ثم اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: لقد رأيت صورة أبي مع زوجته الجديدة .

- اتسعت عينا (سارة) في لهفة وهي تقول : رأيتيها !! أين ؟!!

التقطت الفتاة هاتفها من بين يدي أمها وعبثت فيه لثوان حتى وجدت بعض الصور فقالت: انظري .. ها هي صورته مع مجموعة كبيرة من الشباب والفتيات في إحدى رحلاتهم القريبة، إنها هي التي تقف بجواره مبتسمة.

- وكيف علمتِ أنها هي ؟

- لا أدري ، شعرت بذلك فحسب .

ثم عادت تردف : انظري وقفتها وما الذي ترتديه ، وأبي يبدو سعيداً بجوارها.

انعقد حاجبا أمها في حيرة فقالت (ريم) في تردد : لقد ظننت أنني حينما أفعل مثلها وأرتدي مثلما ترتدي فسيعود إلينا.

لم تتمالك (سارة) نفسها وإنما سقطت على أقرب مقعد صادفها قائلة: يا إلهي .. ألهذا ارتديتِ تلك الثياب وقمتِ بالتقاط صور لكِ بها ؟ أومأت (ريم) برأسها إيجاباً فهتفت (سارة) : إن الأمور تفلت من يدي .. رباه .. ماذا أفعل ؟

تنهدت الدكتورة (شيماء) طبيبة الأمراض النفسية المشهورة في عمق بعد أن استمعت إلى (ريم)، ثم قالت بابتسامة لطيفة: سأحتاج إلى أن أراكِ مرتين في الأسبوع، فهل تريدين رؤيتي كذلك كما أريد أنا أم لا؟

ابتسمت الفتاة في حماس وهي تومئ برأسها إيجاباً، فسألتها (سارة) في لهفة: هل هي مريضة ؟

أشارت (شيماء) لـ (ريم) أن تنتظرهما بالخارج قليلاً، ثم هزت رأسها نفياً وهي تقول : كلا .. إنها حالة طارئة بسبب زواج أبيها فحسب، جيد أنكِ اهتمَمْتِ بالأمر وبحثتِ عن طبيب نفسيٍّ لابنتكِ ، قليلون هم من يملكون هذا العقل المتفتح.

- لقد استشرت من حولي؛ ومن ثمَّ أخبروني عنكِ وعن براعتكِ، ويبدو أنهم كانوا محقين.

- إن حالة ابنتكِ قد تصبح خطيرة إذا لم تتداركيها في حينها، أما الآن فمازال الموضوع بين أيدينا .

- وهل ستحتاج إلى علاج أو دواء ؟

- كلا .. إنها تحتاج إلى بعض الجلسات النفسية فحسب لتتجاوز تلك المحنة، المهم أن تظهري أنتِ أمامها بمظهر ثابت وتتجنبي العصبية والتوتر .

- إنني أحاول يا دكتورة لكنني لا أستطيع .

- هذا الدواء سيساعدكِ في التخفيف من التوتر والقلق بعض الشيء .

التقطت (سارة) اسم الدواء ونظرت له لثوانٍ ثم قالت :

- أتسمحين لي أن أسألكِ سؤالاً خاصاً ؟

ابتسمت (شيماء) في هدوء قائلة : تفضلي .

- كم عمركِ ؟

- إنني في الثامنة والعشرين .

- وهل أنتِ متزوجة ؟

- نعم، عادت (سارة) تسألها : وكيف تستطيعين التوفيق بين عملكِ وزوجكِ ؟

تنهدت (شيماء) قائلة : إنني أحب عملي ، أنهيت دراستي الجامعية ثم قمت بالتحضير للماجستير ونلت درجات جيدة في كورسات عديدة لها علاقة بتخصصي ، مادام المرء يحب ما يفعله فسيجد حتماً وقتاً لكل شيء .

أومأت (سارة) برأسها إيجاباً في صمت، ثم استأذنت في الانصراف مصطحبة (ريم) معها ن ولم تكد تخرج من المبنى إذ اتسعت عيناها فجأة وهي تقول :

- غير معقول .. ماذا تفعل هنا يا (مجدي) ؟

همّ بإجابتها عندما اقتربت منه في لهفة قائلة: لقد أخبرتك (إسراء) بمكاننا وبما تعانيه (ريم) .. أليس كذلك ؟

حاول (مجدي) الحديث لكنها أسرعت تقول: لقد أتيت للاطمئنان على ابنتنا، لقد أوحشتك بالطبع، ألم يوحشك شيء آخر ؟

كانت دكتورة (شيماء) قد وصلت هي الأخرى مغادرةً المبنى في تلك اللحظة، ولم تكد ترى (مجدي) حتى ابتسمت وهي تتجه نحوه، فقال هو موجهاً حديثه إلى (سارة) : ليس أياً من ذلك .. إنني هنا لاصطحاب زوجتي .

راقبته (سارة) وهو يبتسم إلى (شيماء) وهي كذلك بادلته الابتسام، ولم تكد تراها حتى نظرت في تساؤل إلى (مجدي) الذي قال موجهاً الحديث إلى (شيماء) : إنها (سارة) .. زوجتي القديمة.

ثم قال موجهاً حديثه إلى (سارة) : دكتورة (شيماء) .. زوجتي الجديدة.

بدا الارتباك على وجه تلك الأخيرة عندما علمت أن (ريم) ابنة زوجها وحاولت العودة لتتحدث إلى (سارة) لكنه لم يترك لها الفرصة، وإنما اصطحبها إلى سيارته وانطلقا معاً تاركين (سارة) ترمقهما في ذهول تام، بينما سالت الدموع الساخنة من عينيّ (ريم) وهي تقول : ما من فائدة يا أمي، لقد كتب علينا أن نعيش للأبد في الدموع في حلقة لا تنتهي، حلقة الدموع.

❊ ❊ ❊

obeikan.com

العودة من النهاية

تعلقت عينا (شريف) بالطبيب الذي خرج من حجرة الفحص للتو، وقد بدا الوجوم على وجهه وهو يمطُّ شفتيه في أسى قائلاً: للأسف .. لقد تأخرتم كثيراً، إنها تعاني من سرطان في المرحلة الأخيرة منه .

اتسعت عينا (شريف) في هلع وعدم تصديق بينما انهارت (شيرين) باكية على أقرب مقعد قابلها والطبيب يستطرد: لِم تأخرتم كل هذا الوقت ؟ كلما كان اكتشاف المرض مبكراً؛ كلما أعطى ذلك نسباً عالية في الشفاء.

obeikan.com

أجابه (شريف) في مرارة: كانت تخفي معاناتها عنَّا، لم تُرد أن تخبر أحداً منا بما تعانيه من آلام، كتمت ما بها عن الجميع حتى عنَّا، وظلت تعاني وحدها في صمت لسنوات .

أردف الطبيب في اهتمام : سنبدأ بالعلاج الإشعاعي الآن ودون إبطاء .

أومأ (شريف) برأسه إيجاباً بينما انصرف الطبيب إلى عمله، وبمجرد انصرافه أخذت (شيرين) تولول باكيةً: ماذا حدث لنا ؟ ماذا فعلنا لتنهال علينا كل تلك المصائب دفعةً واحدة؟!

كان يستمع إليها في صمت وهو يعرف الإجابة مسبقاً في قرارة نفسه وإن لم يعترف بها بينه وبين نفسه، بدأ الأمر بنزلة برد بسيطة يصاب بها كلٌّ مِنَّا لم تلبث أن تحولت إلى نزلة شعبية حادة ألزمته الفراش شهراً كاملاً ، تجربة قد تبدو عادية لكنها أذاقته الأمرين، وعلم من خلالها قيمة الصحة، ثم انتهت ككل شيء، وبدا أن الأمور ستعود لمجراها الطبيعي، لكن بعد فترة قصيرة هبط خبر زفاف جارته (إيمان) على رأسه كالصاعقة، تلك الفتاة التي كان غارقاً في حبها منذ سنوات طويلة وهما بعد صغار، وكان يتحين الفرصة المناسبة حتى يتخرج من الجامعة ويتقدم لخِطبتها، وكم تسبب ذلك الخبر في إصابته باكتئاب شديد وحالة انعزال كاملة حتى أنه فكر جدياً في الانتحار، لولا تفكيره في والدته وشقيقته من بعده.

ولم تمضِ فترة قصيرة على خروجه من تلك الصدمة إلا وقد تسلمت شقيقته (شيرين) خطاب فصله من الجامعة نظراً

لتغيبه المستمر عن الدراسة، وكيف لا يتغيب وقد فقد القدرة نهائياً على التركيز أو تمييز الأمور حتى تلك البسيطة منها ، إنه يمشي في الشارع ويعود لمنزله بمعجزة لا يدري حتى الآن كيف يفعلها.

وأخيراً ها هي ذي تلك الحلقة الدامية تُختم بخبر إصابة والدته بمرض خطير لا شفاء منه، وقد يتسبب في مفارقتها الحياة بعد شهور قليلة.

دار كل ذلك في ذهنه في ثوانٍ معدودة وهو يتأمل شقيقته المنهارة ووالدته التي مازالت تخضع للفحص والعلاج، ثم انفرجت شفتاه أخيراً قائلاً بصوت خافت وهو دامع العينين:

- لم أكن أعلم أن عقاب الله سيكون مؤلماً هكذا .. رحماك يا إلهي .
- ألن تتناول الغداء يا (شريف) ؟

أجاب ذلك الأخير في سرعة: كلا للأسف، لقد أخبرتكِ الأسبوع الماضي أنني سأتناول غدائي اليوم بالخارج مع أصدقائي .

صاحت (شيرين) في عتاب: وتتركني أتناوله وحدي؟!!

ربَّت على كتفها في حنان قائلاً: سامحيني يا (شيرين).. لكنَّني أريد قضاء بعض الوقت مع أصدقائي .

ولما رأى الأسى في عينيها هتف ضاحكاً: فلتطلبي من جارتكِ (سهيلة) أن تأتي لتناول الغداء معكِ، وتسليتكِ ريثما أعود .

ثم أردف وهو يتأهب للانصراف: اليوم بالذات مناسبة خاصة، ولا أبغي التأخر عنها .

تركها وانصرف سريعاً في مرح، ثم عرج على إحدى محلات الحلويات الشرقية، فابتاع منها بعض الأنواع المنتقاة، وأكمل طريقه إلى منزل صديقه (موسى) الذي فتح له الباب قائلاً : في موعدك تماماً يا (شريف)

دلف هذا الأخير وهو يضع ما ابتاعه متسائلاً : ألم يأتِ أحدٌ بعد ؟

- بل أتوا جميعاً وهم بانتظارك، (عبد الرحمن) و (عماد) بالداخل .

هلَّل الجميع في مرح لدى رؤيتهم لـ(شريف)، وبدأوا بإعداد ما يحمله كل منهم ووضع الحلويات في أطباق وتجهيز العصير للاحتفال، وبعد أن تمَّ إعداد كل شيء، بدأ (موسى) بقوله : الآن يا شباب نبدأ احتفالنا غير العادي، ذلك الذي لم نستطع إقامته في إحدى الأماكن الخارجية المعروفة نظراً لأسباب تتعلق بالاحتفال نفسه.

ثم أخذ نفساً عميقاً وهو يردف: اليوم نحتفل بمرور أكثر من ثلاثة أشهر دون تصفح أي مواد إباحية .

ساد الصمت ثوان إثر عبارته تلك، قاطعه (عبد الرحمن) وهو يتنهد في ارتياح قائلاً: لا أصدق أن هذا اليوم أتى اخيراً، لقد بدا لي أنني سأموت على سوء خاتمة جزاء فعلتي .

رشف (عماد) كوب العصير خاصته دفعة واحدة وهو يقول:

- كابوس ثقيل .. ثقيل .. كان جاثماً على صدر كل منا يخنقه بلا رحمة .

مطَّ (شريف) شفتيه في حزن وهو يقول في مرارة: أما أنا.. فقد تحطمت حياتي حرفياً بسبب هذا الذنب، فقد أتاني إنذار الله تعالى أكثر من مرة، وعندما تجاهلته .. كان عقاب الله الذي لم يتأخر .

استطرد (موسى) : هوّن على نفسك يا صديقي، فلتحمد الله ان عقابه أتى في الدنيا ليكون بمثابة الصفعة القوية التي تسبب في إفاقة كل منا من غفلته.

ثم أردف بعد هنيهة من الصمت: لقد قضى كل منا أعواماً طويلة مقيماً على هذا الذنب اللعين، مقيداً إليه بلا رحمة، وتاركاً إياه يلتهم عقله وقلبه، مهدداً بضياع دنياه وآخرته معاً .

وافقه (عبد الرحمن) قائلاً: نعم .. لقد دمر حياتنا جميعاً، أفقنا بالفعل لكن بعد أن دفع كل منا ثمناً باهظاً لهذه اللحظة، لحظة النصر، تلك اللحظة التي حلمنا بها كثيراً حتى باتت حلماً بعيد المنال .

ابتسم (شريف) في مرارة وهو يقول: مهما بلغت خسارة كل منا، إلا أن خسارة أمي التي فقدتها منذ عام لا تعوض أبداً، إن خسارتها تلك كانت بمثابة البداية الحقيقية لي بحق .. رحمكِ الله يا أمي .

طقطق (عماد) بشفتيه معترضاً قائلاً: لا مجال للحزن اليوم، إننا نحتفل بانتصارنا على أنفسنا وشهواتنا، وهو أقوى وأشد أنواع الجهاد ..

عاد (شريف) يبتسم وهو يردف: لنحتفل يا رفاق بالنصر .. نصر من نوع خاص .. جداً ..

❊ ❊ ❊

obeikan.com

الثمن

فتحت(ماجدة) عينيها ببطء وأخذت تتبين ما حولها في صمت للحظات ، ثم هتفت فجأة في وهن : ماذا أنجبت؟

اقتربت منها ممرضة لطيفة وهي تقول باسمة: أخيراً استيقظتِ يا مدام (ماجدة) .. حمداً لله على سلامتكِ ..

عادت تسأل في إصرار وهي تحاول النهوض : أين ابني ؟ ماذا أنجبت ؟

ثم تأوهت في ألم فعادت للرقاد ثانية وساعدتها الممرضة وهي تهتف بهاً : مهلاً يا مدام (ماجدة) .. لا يمكنكِ النهوض الآن، لقد كانت ولادتكِ متعسرة، واطمئني .. لقد أنجبتِ طفلاً ذكراً.

obeikan.com

تهللت أسارير(ماجدة) وهي تقول في ارتياح : حقاً !! وأين هو؟

- إنه في قسم رعاية حديثي الولادة، فمازال هناك بعض الفحوص الضرورية اللازمة للطفل نظراً لظروف إنجابه الغريبة .

وافقتها (ماجدة) وهي تقول في إعياء: نعم .. إن ظروفه غريبة جداً، فبعد عشر سنوات من عدم الإنجاب وثلاث عمليات حقن مجهري يحدث حمل طبيعي بدون أي تدخلات جراحية .. أنتِ لا تدرين شيئاً عن سعادتنا أنا وزوجي حين عرفنا بخبر الحمل، ناهيكِ عن المتاعب والآلام التي تكبدتها طوال فترة الحمل، إنها معجزة بكل المقاييس .

أردفت الممرضة في ارتباك: لا تنسي أيضاً يا مدام (ماجدة) أنكِ تخطيتِ الأربعين من العمر، والحمل في هذه السن لا يخلو من المخاطر .

قاطعهما دخول أحد الغرفة الذي ما أن رأته (ماجدة) حتى هتفت : (محمود) .. هل رأيت ابننا ؟

لم يجب ذلك الأخير مباشرة وإنما بدا على وجهه تعبير غريب، فعادت تسأله في جزع : هل حدث مكروه لابننا؟ أجبني أرجوك ..

أجابها أخيراً في تردد: هو بخير، اطمئني، سترينه عند الانتهاء من فحصه ..

هتفت (ماجدة) من أعماق قلبها : حمداً لله .. لكني أشعر أنك تخفي عني شيئاً .. فهل أنا على حق ؟!!

opeikan.com

- أمـاه .. هـل يمكننـي الخـروج للعـب مـع (عـلاء) قلـيلاً بالخارج ؟

التفتت (ماجدة) إلى ابنها ورمقته لحظات في ألم، ثم قالت في حنان وهي تربت تلقائياً على خده: وهل أتى (علاء) بعد يا (أشرف) ؟

- نعم يا أماه .. لقد أتى منذ قليل طالباً مني الخروج للعب معه وشقيقته (علا)، لكني آثرت أن أطلب الإذن منكِ أولاً .

- لا بـأس يـا بنـي، لكـن لتلعبـوا فـي الخـارج أمـام المنـزل مباشرةً ولا تذهبوا بعيداً، ولتعودوا قبل حلول الظلام .

انفرجت أسارير (أشرف) وأخذت أمه تراقبه في صمت مشوب بالشفقة، وهو يتحرك بحذر بين المقاعد حتى يصل إلى (علاء) الذي حيَّاها بيده في صمت ثم اصطحب ابنها إلى الخارج في بطء، فنهضت تراقبهما من النافذة بعض الوقت وتبتسم لابنها ابتسامة مشجعة عالمة أنه لن يراها ولكنه سيشعر بها، ولما لم تستطع مقاومة دموعها جلست على إحدى المقاعد وقد بدأت الدموع بالفعل تنساب على خديها في صمت ساخنة محملة بالألم والحزن، طال بها الوقت وهي لم تغيِّر جلستها جال بذهنها فرحتها العارمة عندما جاء (أشرف) إلى الدنيا.

تلك الفرحة التي لم تلبث وتحولت إلى حزن عميق وعدم تصديق حينما علمت بمأساته، مروراً بعدد لا حصر له من الأطباء الذين نظروا إليها في أسى ويأس وهم يخبرونها بأنه

ما من سبيل لشفاء ابنها حتى استسلمت للأمر الواقع، وبدأت في البحث عن طرق تربية من هم في مثل ظروفه، ظلت على حالها ذلك حتى أتى زوجها ورآها على هذا الحال من ثم قال مشفقاً : هوني على نفسكِ يا عزيزتي ..ماذا حدث ليستحق دموعكِ هذه؟

هتفت في مرارة من بين دموعها: أتسألني ماذا حدث!!

سأخبرك أنا .. إن دموعي تلك جزء من نزيف قلبي الدائم، فبعد أن قضيت سنين طويلة أحلم بالإنجاب يتحقق حلمي ليكون مصدراً متجدداً لآلامي، ألم خلال الحمل ..وألم في ولادته .. وليت الأمر ينتهي عند ذلك الحد، بل إنَّ ألمي يزداد يوماً بعد يوم ويكبر معه، فها قد أتى ولدنا الوحيد للدنيا بعد طول انتظار لنكتشف أنه قد ولد أعمى .. كفيف .. كيف سيعيش المسكين بقية حياته ؟ كيف سيواجه أقرانه ويكبر ويتعلم ويتزوج؟

بل من ستوافق أصلاً بشاب في مثل ظروفه؟ ظللنا نحلم سنوات طويلة بإنجاب طفل وولد بالتحديد ليكون لنا عوناً في هذه الحياة عندما نهرم ونشيخ، فكانت المفاجأة أنه أتى ليطلب هو نفسه العون والسند، أخبرني بالله عليك .. إذا حدث لأيّ منا مكروه .. من سيرعى الآخر ؟ لو أصابك خطب ما سأضطر لمواجهة العالم الخارجي وحدي وأنا على عاتقي أيضاً مسئولية طفل كفيف، لقد حُكم على مستقبل ابننا بالضياع قبل أن يبدأ.. ليتني ما أنجبته ..

هتف بها (محمود): مهلاً يا (ماجدة) لا داعي لكل هذا الكلام، ثمة حكمة ربانية حتماً فيما يحدث، لعل في رعايتنا

له والصبر على حاله تكفيراً لذنوبنا ورفع لدرجاتنا، أنا موقن أنَّ لكل شيء سبب وحكمة عليا قد لا ندركها الآن بعقولنا المحدودة، لكننا سندركها حتماً فيما بعد .

عادت تهتف في استنكار: وماذا يفترض بي أن أفعل؟ أن أترقب قدره المظلم ومستقبله الغامض؟ إنه الآن في السابعة من عمره، لا يعرف شيئاً عن أي شيء، لا أعرف كيف أصف له الألوان والأشكال بخلاف من أبصر لفترة من عمره ثم أصيب بالعمى لسبب ما، أما هو فقد ولد هكذا، لا يمكنني أن أصف له ملامحنا .. أو منزلنا .. أو الشمس أو القمر .. لا يمكنني أن أصف له الأشجار والأزهار، عقله صفحة بيضاء لا يمكنه حتى التخيل لأنه لم يرَ تلك الأشياء من قبل، ليس حتى كالطفل الصغير الذي يتعرف على الأشياء وأسمائها لأنه – ببساطة - لن يراها، يعتمد على حاسة السمع بشكل تام، يعرفني من صوتي، يشعر بمجيئي وذهابي ويمكنه أن يتعرف على الحزن والألم في نبرة صوتي عندما أحدثه، وهذا ما فشلت في إخفاءه.

ثم تناولت منديلاً ورقياً سكبت فيه بعضاً من دموعها الغزيرة وهي تستطرد : أو لم يكفيني نظرات الجميع لي بعد زواجنا وخاصة أمك وكلهم بانتظار الخبر السعيد ، وتصميم أمك على تزويجك بأخرى، والألم الذي يعتصرني وأنا ألمح الحسرة والشفقة في عيون كل من حولي، حتى بعد إنجابي لـ (أشرف) لم تختفِ تلك النظرة بل على العكس زادت بعد معرفتهم بما أصابه .. وكل نظرة منهم تؤلمني..

وتمزقني وكأنه قد كتب عليّ أن أتجرع مرارة الألم ما دام في صدري نفس يتردد.

- هناك حل حتماً، لسنا وحدنا في هذا البلاء، هناك العديد من الأطفال ولدوا مثله، ألم يخبركِ بذلك المدرس الخاص به؟

- بلى .. لقد أخبرني، لكن الكلام شيء والواقع شيء آخر تماماً يا (محمود)، إنه ابني .. ، إنني أتألم من أجله ألماً لا يمكن وصفه، قلبي يتمزق في كل لحظة أراه فيها أمامي هكذا وهو يعيش أجمل أيام حياته محروم من نعمة البصر، لو كنت أعلم ما ينتظرني لكنت أجهضت نفسي بنفسي قبل أن أنجبه، أنت لا تعلم شيئاً عن شعوري يا (محمود)، لا تعلم عن ألمي وقلبي الذي يحترق يومياً و أنا أتساءل عن مصيره لو حدث مكروه لإحدانا، إنني أبكي كل ليلة على الوسادة بينما أنت غارق في نوم عميق، أخشى المستقبل ..

وأخشى كل يوم أن يأتي الغد، أرتجف لمجرد فكرة أنه سيظل على هذا الوضع طيلة حياته، لا سبيل لي إلا الموت لأرتاح من هذا العذاب المقيم، إنني أتألم يا (محمود) .. أتألم..

قاطعهما صوت طرقات عنيفة على الباب ، فهرع (محمود) ليرى من القادم ، ولم يكد يراه حتى هتف : (علاء) !! ماذا حدث يا بني؟

أجابه (علاء) وهو يرتجف : (أشرف) يا عمي ..

وصلت زوجته في تلك اللحظة وهي تصرخ : (أشرف).. ماذا به ؟

ثم هرعت إلى الخارج قبل أن يجيب لتجد ابنها وقد تمدد على الأرض بلا حراك بينما تجمع الناس من حوله يبكون ويرتجفون، فجثت على ركبتيها بجواره وهي تصرخ باكية:
- ابني .. ماذا حدث ؟

أجابتها (علا) وهي تنشج وترتجف : لقد .. لقد انشغلنا عنه بعض الوقت باللعب، ولم ندر أنه تحرك من مكانه بضع خطوات ليسمع لعبنا بوضوح أكبر، ثم انتبهنا على صوت صراخه بعد أن صدمته سيارة مسرعة وفرت هاربة.

جثا (محمود) جوارها وهو يصرخ بانهيار : ألم تريدي الراحة ؟ ألم تدعي الله أن ترتاحي من هذا العذاب ؟ لقد أجيبت دعوتكِ، ولتستريحي إذن، فقد رحل ابننا الوحيد .. رحل إلى الأبد.

تفكَّرت في كلماته وهي تمسك برأس ولدها المسجى على الأرض غير مصدقة لتنطلق من أعماق قلبها صرخة مدوية تضج بالألم والعذاب ارتج لها الشارع بأكمله، صرخة تحمل كل لوعتها ومرارتها، لقد استراحت بالفعل لكن بعد أن دفعت الثمن .. وياله من ثمن .

❋ ❋ ❋

سر الصورة

بدأ القلم الرصاص طريقه على ورقةٍ بيضاءَ ناصعةٍ بأن أخذ يدوربداخلها في خطوات غير منسقة، تمسك به أصابع طفلة صغيرة لم تتعد الخامسة من عمرها وتنهمك بكل كيانها في جعل تلك الخطوط تتصل ببعضها لتتكون على الورق ببطء صورة لوجه طفل رضيع يبتسم في براءة، لم تلحظ تلك الطفلة نظرات شقيقها الأكبر (عمرو) المليئة بالإعجاب والدهشة معاً وهو يتابعها ببصره في اهتمام مراقباً ما ترسمه، ثم لم يلبث أن سألها: ماذا ترسمين يا (رزان) ؟

أجابته الصغيرة في براءة : أرسم طفلاً صغيراً يا خالو.

عاد يسألها : وأين رأيتِ ذلك الطفل من قبل؟

obeikan.com

أجابته في نفاد صبر بطريقة الأطفال المميزة وهي مازالت ترسم باهتمام : رأيت صورته عند طنط (علياء) ، لقد أحضرت تلك الصورة اليوم وبدت مهتمة بها كثيراً حتى أنها وضعتها في حجرة مكتبك في عناية، ولتكفّ عن الأسئلة يا خالو؛ فأنا لا أستطيع التركيز .

ارتفع حاجبا (عمرو) في دهشة ثم عاد يقول مبتسماً :

آسف يا عزيزتي، أكملي الرسم .

ثم نهض إلى حيث زوجته (علياء) التي تقوم بغسل أطباق الغداء وترتيب المطبخ، فتأملها قليلاً في صمت ثم سألها :

- ما هذه الصورة التي اتيتِ بها اليوم وضعتها في حجرة مكتبي ؟

التفتت إليه (علياء) في هدوء وهي تقول : إنها صورة أعجبتني لطفل صغير، وجدتها اليوم في السوق وقد أثارت إعجابي بشدة، ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا أنقد البائع ثمنها، وأحملها إلى هنا .

عقد حاجبيه في اهتمام وهو يسألها مجدداً: وكم كان ثمنها إذن ؟

- اطمئن .. لقد ابتعتها من مالي الخاص، لا من مصروف البيت .

لانت ملامحه قليلاً، ثم اقترب منها وهو يقول في حنان : أنتِ تتوقين إلى الأمومة .. أليس كذلك ؟

نظرت إليه للحظات في صمت وقد ترقرقت الدموع في عينيها قبل أن تجيب بصوت خافت: أنا أعلم جيداً أن هذا ليس بيدك ولا بيد أيّ منا .

عاد يقول وهو يربت على خدها في حنان: تعلمين جيداً يا عزيزتي أن حالتي الصحية لا تسمح بالإنجاب بعد، وأنني احتاج بعض العلاج الذي قد يطول، وها قد مر زمن طويل على بداية العلاج والمتابعة مع الطبيب، ولم يبق إلا القليل.

ساد الصمت للحظات قبل أن يستدرك في سرعة : ثم إن شقيقتي (رزان) تعد بمثابة ابنة لنا، فمنذ توفي والدانا وهي تقيم معنا لتضفي على حياتنا البهجة والسرور والبراءة .

أومأت (علياء) برأسها إيجاباً وهي تقول في هدوء : بلا شك يا (عمرو)، إن (رزان) هي ابنتي التي لم أنجبها والتي أتت لتضيء حياتي وتبعث فيها بالأمل والحياة .

ثم سألته فجأة في اهتمام وقد تذكرت شيئاً : هل تريد أن أضع الصورة في مكان آخر أم أتركها في مكتبك ؟

- اتركيها يا عزيزتي ، إنها صورة جميلة وأنا حتماً سأستمتع بالنظر إليها أثناء ممارسة عملي .

بدا عليها الارتياح وهو ينصرف من المطبخ، ثم تنهدت في قوة بعد انصرفه، وعادت لتمارس علمها .

openkan.com

امتدت يد (علياء) بالصورة التي تناولها منها شخص ما وهو يسالها في اهتمام : بالطبع سألكِ (عمرو) عن ماهية الصورة، لا سيما ثمنها !!

عقدت ذراعيها على صدرها وهي تجيب في تهكم :

بالطبع سألني، إن ما يهمه هو ثمن الصورة فحسب. عاد يسألها وهو يفتح الصورة من الخلف بأداة حادة : وبماذا أجبتِ ؟

- لقد حسب أنني أشتاق للأمومة؛ لذا وضعت تلك الصورة في مكتبه .

ثم استطردت في كراهية: يحسبني أتحرق لإنجاب طفل منه، ولم يخطر بباله أن ذلك أكثر ما أخشاه، فيكفي العامان اللذان أضعتهما من عمري مع شخص بخيل مثله، ولا أفكر أبداً في إنجاب طفل ليذوق ويلات بخله.

انتهى الشخص من نزع غلاف الصورة الخلفي، وامتدت أصابعه في حذر لتلتقط كاميرا صغيرة دقيقة تأملها لحظات وتبادل مع (علياء) نظرة ذات مغزى، ثم عاد يسألها : كيف خرجتِ بالصورة إذن؟

- لقد أخبرته ان (رزان) تود الذهاب للملاهي، وأنا لا يمكنني اصطحابها نظراً لإصابتي المفاجئة بالبرد، لذا اصطحبها هو على مضض حيث إن ذهابها للملاهي سيكلفه حتماً بعض المال، وهذا آخر ما يرغب فيه .

أومأ برأسه في رضا ثم قال : لم يعرف الأحمق أن تلك الصورة تحوي كاميرا صغيرة وضعتها بنفسي بداخل

الغلاف، لنتمكن من مراقبة مكتبه ومن ثم معرفة الأرقام السرية لخزانة نقوده .

أردفت في شماتة: كفاني احتمالاً لبخله، إنه يكسب جيداً من عمله كمهندس للديكور، وكل فترة تقريباً يودع مبلغاً لا بأس به بخزانة مكتبه لأنه لا يثق بالبنوك، وبالرغم من هذا فإنه يبخل علينا بالمال، ويحاسبني بصرامة على كل جنيه أقوم بإنفاقه.

- جيد أنكِ لم تخبريه بوجود شقيق لكِ، فمن الأفضل ألا يعرف بوجودي من الأساس .

- لقد خشيت أن تنتابه الشكوك نحوي حينما يعلم أن لديّ شقيق كان نزيلاً في إحدى السجون، ولو كنت أخبرته بالأمر لم يكن ليعطيني الأمان أبداً.

عاد أخوها يعيد غلاف الصورة الخارجي إلى مكانه وهو يقول : ها قد عرفنا أرقام خزانته السرية، ويمكنني الآن القيام بالعملية في أي وقت، وتعويضكِ عن سنوات الحرمان.

مطت (علياء) شفتيها في ازدراء وهي تقول : لولا بخله الشديد ماكنت لأفكر في سرقته أبداً، لكنه هو من دفعني إلى هذا، متى ستقوم بالعملية ؟ أجابها وهو يعيد الصورة إلى حالتها الأولى في حرص : لن اخبركِ بالطبع حتى لا تتوتر اعصابكِ؛ ومن ثم يظهر ذلك على ملامحكِ ويلحظه هو، أما الآن فاحرصي على أن تضعي تلك الصورة في مكانها

السابق قبل عودته هو و(رزان)، يجب أن يجد كل شيء كما كان وإلا سيبدأ بالشك الذي قد يتسبب في أن يقوم بتغيير كلمة سر الخزانة، ويضيع مجهودنا هباءً .

التقطت منه الصورة وهي تقول : لكني احذرك .. إننا سنتقاسم ما بخزانته من اموال، ولو أخفيت عني اي شيء فسأعلم حتماً.

قهقه ضاحكاً وهو يقول : هناك مثل عامي يعبر عن حالتنا تلك.

ابتسمت وهي تتأهب للانصراف وتقول : لقد أودعت السجن نظراً لسرقتك أناس لا يستحقون السرقة، أما زوجي فهو أول عملية سرقة لك لشخص يستحق ذلك من كل وجه.

❋ ❋ ❋

opeikan.com

بلا رجوع

بدا الضيق على وجه (أسماء) وهي تدلف إلى منزلها بعد يوم شاق قضته في آخر امتحان لها بالكلية، وبدلاً من أن تحتفل بإنهاء امتحاناتها وأنها أخيراً ستتخرج وتحصل على بكالوريوس التجارة الذي طالما حلمت به إلا أنها لم تشعر إطلاقاً بتلك الفرحة المنتظرة، بل لقد ألقت جسدها المكدود على أول مقعد قابلها، مما دفع امها إلى أن تسألها : كيف كان الامتحان ؟

- كان جيداً .. اطمئني.

- ولِم لا يبدو ذلك على ملامحكِ ؟ أهذا تعبير يبدو على وجه فتاة في سبيلها أخيراً للتخرج من الكلية وتوديع المذاكرة؟!

obeikan.com

مطت (أسماء) شفتيها قائلة : إنها مشكلة معتادة مع (هند) ..

- وماذا حدث هذه المرة ؟

اعتدلت (أسماء) في مجلسها وهي تقول : نفس الأمر، فقد علمت أنني قضيت يومي أمس في مراجعة المادة مع (علا) صديقتنا ، وما أن علمت بذلك حتى بدأت طريقتها المعتادة وانهالت عليّ بالأسئلة .. كيف تذهبين إليها دون أن تخبريني ؟ ولماذا هي بالذات ؟ ولِمَ لم تأتِ للمراجعة معي ؟ وأشياء من هذا القبيل حتى فقدت أعصابي وتشاجرت معها وأخبرتها أنها مجرد صديقة لا أكثر، وأنني لم أعد أحتمل تدخلها الزائد في حياتي.

ظلت أمها تستمع إليها دون تعليق فأردفت : حدث هذا بعد الامتحان مباشرة وفي أثناء قيامنا بمراجعة الأسئلة، من ثم قلت ما قلته وتركتها وانصرفت، لقد أفسدت عليّ فرحتي بإنهاء الامتحانات، كنت أنوي الاتفاق معها على أن نخرج سوياً غداً، أو اليوم بعد الامتحان لنحتفل ونتناول غداءنا في أي مكان، إلا أن مشاجرتي معها جعلتني لا أرغب في رؤيتها حتى.

انطلق رنين هاتفها المحمول في هذه اللحظة؛ فالتقطته ولم تكد تلقي نظرة على هوية المتصل حتى قالت في سخط: ها هي ذي تتصل، لا أريد الحديث معها.

قالت هذا وهي تقوم بإغلاق الهاتف بأكمله، فقالت أمها أخيراً بعد صمت طال: إن علاقتكِ بـ (هند) علاقة غريبة حقاً، فهي تعتبركِ ابنتها لا صديقتها وتتدخل في حياتكِ بصورة سافرة، كما أن تصرفاتها الغريبة تلك تنبئ عن نفسية غير سوية .

- أنتِ تعلمين يا أمي مدى صعوبة الظروف التي نشأت فيها (هند)، إنها ابنة وحيدة لأم انفصلت عن زوجها بعد عامين فقط من الزواج، وتربت وحدها مع أمها نظراً لزواج أبيها بأخرى بعد الانفصال، وقبل أن نتعرف كانت وحيدة منعزلة حتى تعرفت عليها ووجدتها فتاة طيبة ومخلصة، تحبني وتخاف عليّ بطريقة مبالغ فيها، في البداية كان هذا يجذبني ويسعدني، ثم الآن هو يخنقني ويعذبني؛ لقد تعبت من تحكمها في حياتي ورغبتها في معرفة تفاصيل يومي الصغيرة .

ثم استدركت: لقد أنهينا امتحاناتنا الآن، فهل ستتركني ؟ كلا بالطبع، ستظل تحادثني هاتفياً كل يوم طالبة مني تقريراً شاملاً عن يومي، ولو تجاهلتها ستأتي للمنزل باكية زاعمة أنني لم أعد أحبها .

هزت أمها رأسها في عدم رضا قائلة : تلك العلاقة غريبة، إنها علاقة غير سوية على الإطلاق، تذكرني بعلاقة المتطفل بالعائل التي درسناها قديماً، طرف يستفيد ويستنزف كل شيء على حساب الطرف الآخر، وماذا قررتِ؟

أجابت (أسماء) في حيرة : لم أقرر بعد، أنا أنوي التقديم للدراسات العليا بالجامعة، وهي لا تحب ذلك وستبحث عن عمل مباشرة، أريد أن أبدأ حياة جديدة بعيداً عنها، أريد متنفساً لحياة طبيعية مثل صديقاتي، حياة بدونها .

(وبعد اتفاق اللجنة .. نعلن حصول الطالبة (أسماء عبد اللطيف) على درجة الماجستير في المحاسبة مع مرتبة الشرف)

قفزت تلك الأخيرة من السعادة بعد سماعها لنتيجة المناقشة، وانطلق الجالسون يصافحونها ويهنئونها في حماس، واحتضنتها أمها في فرحة غامرة، بينما أشرق وجه (أسماء) كله ودمعت عيناها في تأثر غير مصدقة مرور ثلاثة أعوام دامية منذ تخرجها، انقضت كلها سعياً وراء رسالة الماجستير تلك .

أحاطت بها صديقاتها وأخذن يمزحن في مرح، فقالت إحداهن: سنذهب في رحلة مفتوحة إلى مكان يعد بمثابة مفاجأة لكِ .

تساءلت (أسماء) في فضول: رحلة !! وماهو المكان؟

هتفت صديقة أخرى: إنه مفاجأة حقيقية، سنتركك اليوم تحتفلين مع والدتكِ، ثم نوقظكِ غداً في السادسة صباحاً.

نظرت إلى أمها التي ابتسمت في سعادة قائلة: لقد أخبرنني بأمر تلك الرحلة مسبقاً، وأنا وافقت.

- هي مؤامرة إذن !!

انطلق الجميع يضحكون وهم يستعدون لمغادرة قاعة المناقشة، بينما اصطدمت عينا (أسماء) بمن يقول لها مبتسماً : مبارك نجاحكِ.

عقدت (أسماء) حاجبيها في شدة ثم صافحت صاحبة الصوت قائلة في ود : أشكركِ يا (هند) .. كيف حالكِ؟

عادت تلك الأخيرة تقول مبتسمة : بخير، لقد عملت بعد عام من التخرج في أحد البنوك، حتى قابلت زوجي الحالي وتزوجت من عام آخر .

تهللت أسارير (أسماء) وهي تقول: مبارك زواجكِ إذن ، أنا سعيدة للغاية لسماع هذا، يبدو أن أحوالكِ مستقرة .

ارتسم الوجوم على وجه (هند) وهي تقول : إنها مستقرة ، لكنها لم تستقر إلا بعد فترة طويلة منذ فراقنا . قالت (أسماء) بسرعة منهية الحوار: سعيدة للغاية بمقابلتكِ يا (هند) .. أتمنى لكِ كل خير .

استوقفتها قائلة : ألن تعطيني رقم هاتفكِ الجديد ؟

- لم يعد لديّ وقت للثرثرة كما كنا قديماً يا (هند) . هتفت تلك الأخيرة في ضراعة: إذن يمكنني أن آتي لزيارتكِ !!

- أنا وأمي نغادر المنزل كثيراً، ثم إنكِ مازلتِ زوجة جديدة تتحسس حياتها الزوجية في حذر، وحتماً زوجكِ وبيتكِ بحاجة إليكِ أكثر مني.

قالت (هند) في أسى : زوجي !! إنه طبيب يتركني وحدي ليال عديدة، وأنا لا أجد ما أفعله.

أجابتها (أسماء) في حسم : ستجدين يا (هند)، العمر يمضي بلا رجوع ويركض بلا هوادة ، ولابد لنا من ملء فراغنا بالإنجازات وبتحقيق أحلامنا وما نحبه، تعلمي التفصيل .. التحقي بدار لتحفيظ القرآن الكريم ..

تعلمي كيفية التعامل مع الحاسب الآلي واصنعي لنفسكِ عالماً خاصاً على شبكة الانترنت، ابحثي عن هواية قديمة لكِ وعودي إليها، إنها حياتكِ يا (هند)، وهي لن تتكرر ثانية، فاستغليها .

❊ ❊ ❊

obeikan.com

لا مكان لك

أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة بعد الظهر حينما بدأ موظفو تلك المصلحة الحكومية بالانصراف واحداً تلو الآخر، على الرغم من أن موعد الانصراف المعتاد لم يحِن بعد، حتى لم يبق في المكتب إلا الآنسة (سها) التي أخذت تختلس النظر إلى (علي) زميلها الذي أخذ يقرأ الجريدة في نهم، ولم يلحظ أن بقية الزملاء قد انصرفوا ولم يعد باقياً سواهما.

زفرت (سها) في ملل وهي تنظر إلى (علي) في سخط، ثم لم تلبث أن نهضت واتجهت إليه مباشرة، وقفت بمواجهته، فانتبه فجأة إلى وجودها وقبل أن ينبس ببنت شفة سبقته هي بسؤالها : وماذا بعد ؟

obeikan.com

ارتفع حاجباه في دهشة وهو يردد : ماذا تعنين؟

أجابته في حدة وهي تجلس : متى ستتقدم لخطبتي؟

ألقى الجريدة جانباً وهو يردد : خطبتكِ!!

- نعم خطبتي ، ألم تلمح أكثر من مرة أنك معجب بي؟

- أنا فعلت ذلك ؟ متى ؟

ارتفع صوتها في حدة وهي تجيبه: نعم فعلت، ماذا عن رسائلك الخاصة على الهاتف لي في كل مناسبة ؟ وعن قولك بأنك تشعر بالراحة عند الحديث معي، وأنك دوماً تريد سماع نصائحي ؟ فبِم تفسر ذلك؟

حدجها (علي) بنظرات ملؤها الدهشة البالغة ثم أردف: آنسة (سها) .. أنتِ مجرد زميلة عزيزة لا أكثر، وأنا لا أفكر مطلقاً في الزواج منكِ أو من سواكِ.

نهضت بطريقة حادة وهي تهتف في غضب : لا تفكر في الزواج !! لماذا كنت تتودد إليّ إذن وتعاملني تلك المعاملة الخاصة ؟ لِم كان سؤالك الدائم عني عند غيابي؟

ولِم كان اهتمامك الزائد بي حتى جعلت زملاءنا بالعمل يلحظون ذلك ؟

مط (علي) شفتيه في تردد، ثم أجاب بعد هنيهة من الصمت : قد أكون معجب بكِ بالفعل وأشعر أن لكِ مكانة خاصة في حياتي .. فقط .

أردفت في حنق : إذن .. كنت تتلاعب بمشاعري ؟

هز رأسه في لا مبالاة وهو يجيب: أو أنكِ أعطيتِ الموضوع أكبر من حجمه، وتوهمتِ أشياء لم تكن.

كان ردها عليه نظرة طويلة يملؤها الغضب والعتاب، ثم قالت في صرامة : منذ تلك اللحظة إذن .. فأنا لا أسمح لك أن تتصل بي أو تراسلني على الهاتف لأيّ سبب كان.

وبينما هي تتأهب للانصراف؛ إذ استدارت فجأة في بطء لترمقه بنظرة اخيرة وهي تقول ضاغطة على كلماتها :

- لكنك ستندم جزاء العبث بمشاعري .. هذا وعد.

❋ ❋ ❋

- طلاق !! أأنتِ جادة فيما تقولين ؟

تنهدت (سها) تنهيدة قوية وهي تجيب: نعم طلاق، إن هذا هو أفضل الحلول التي توصلت إليها ليرتاح كلانا.

بدت أمارات الدهشة على وجه شقيقتها (رشا) وهي تقول :

- لكن .. إن (طارق) يحبكِ بحق، وحتماً أنتِ تعلمين ذلك، إنه زوج مثالي تحسدكِ عليه الكثيرات .. فلِم الطلاق ؟

أجابتها (سها) في حدة : لهذا السبب أريد الطلاق، إنه حب من طرف واحد يا (رشا)، فقد تزوجنا زواجاً تقليدياً بعد فترة تعارف بسيطة، لم أترك لنفسي الفرصة لأتعرف عليه

أو أحبـه، ظننـت فـي البدايـة أن هـذا مجـرد شـعور مؤقـت وسيزول بمرور الوقت، لكن ما حدث هو العكس .

صمتت لحظة تناولت خلالها جرعة ماء ثم استطردت : وها قد مر عامان على زواجنا وأنا أشعر بالملل والفتور ، حياة مملـة كئيبـة، ورجـل يسكب كـل عواطفـه دفعـة واحـدة ولا يتـرك لـدي الفرصـة لاسـتيعاب كـل هـذا الكمَ مـن الحـب والحنـان، أشـعر أن قلبـي يجـف بالتـدريج، وأن جفافـه هـذا يزداد يوماً بعد يوم .

رمقتها (رشا) للحظات ثم قالت في بطء: أو قد يكون السبب أن قلبكِ مازال بعد ممتلئاً بحب (علي) ..

انتفضت (سها) وهي تردد في استنكار : (علي) ؟

كلا بالطبع، أنا امرأة متزوجة، كيف لي ان أفعل ذلك؟!!

- وهـل تنكـرين أنـكِ مازلـتِ تتـابعين أخبـاره ؟ لقـد وجـدت صـفحته الشخصـية مـن ضـمن الصـفحات المغلقـة حـديثاً لـكِ على جهاز الحاسب !!.

ارتجـت (سـها) ولـم تسـتطع الإجابـة، فتابعـت (رشـا) : اسـمعيني يـا (سـها) .. إن زوجـكِ الحـالي كنـز، نـادراً مـا تحصـل المـرأة علـى زوج بهـذه المواصـفات الرائعـة، فهـو مـؤدب .. محتـرم .. أخلاقـه عاليـة .. كـريم .. متـدين، لكنـكِ للأسف تزوجتيه سريعاً بقصد أن تستمتعي بإغاظـة (علـي)

الذي تسبب في إيلام مشاعركِ بشدة وخذلكِ، فلم يكن زواجكِ من (طارق) مبنياً على إقامة حياة زوجية مستقرة، بل كانت تجربة قاسية قررتِ خوضها فقط لأن حب (علي) مازال ينبض في قلبكِ.

ظلت (سها) تستمع إليها بصمت وهي تكمل: ولأن قلبكِ مايزال ممتلئاً بحب شخص آخر؛ لذا لم يكن بإمكانكِ أبداً أن تحبين زوجكِ، لأن قلبكِ ببساطة ممتليء عن آخره وليس به مكان، وغاب عن ذهنكِ حقيقة بسيطة .. وهي أن (طارق) لا ذنب له فيما تعانين، تزوجتيه فقط لتنسي حب قديم وكان هو الضحية، كان الأحرى لكِ أن ترفضيه بدلاً من ان تتسببي في عذابه وعذاب نفسكِ بتلك الحياة الباردة.

ثم زفرت زفرة قوية لتقول بعدها في حسم: أمامكِ الآن حلان لا غير، فإما أن تطلبي الطلاق بالفعل من (طارق) وتكفي عن تعذيبه، وإما أن تقومين بطرد (علي) من قلبكِ تماماً ولا تعودي لمتابعة أخباره في أي مكان، فرغبة الانتقام بداخلكِ لن تجدي، ولن تتسبب إلا في دماركِ كإنسانة ودمار أسرتكِ، ..

فأيهما تختاري ؟

خفضت (سها) دموعها التي انسالت على خديها في صمت ثم قالت بعد وهلة: قضيت ليال عديدة وأنا أبكي وأتمزق

جزاء ما فعله (علي) بي، صحيح أنني كنت واهمة لكن .. ماذا أقول لشعوري القوي الذي أنبأني عن حبه لي؟

أجابتها (رشا) في حنان : الحب ليس له إلا طريق واحد يا (سها)، المحب بحق سيفعل كل ما بوسعه ليجتمع بحبيبته في الحلال، سيسلك طريقاً مباشراً لا بديل له، المحب بحق لن يرضى بتعذيبكِ ولو ليلة واحدة، ولن يحتمل فكرة أن دموعكِ تسيل بسببه، لقد اختار (علي) طريق المراوغة والعبث، لكنَّ (طارق) سلك طريقاً صحيحاً .. لأنه يحبكِ.

ثم أخذت نفساً عميقاً وهي تعاود سؤالها : أيهما اخترتي؟ أجابت (سها) في خفوت: اخترت أن أطرد (علي) من حياتي وأفرغ قلبي من أي مخلوق سوى زوجي ، سأعطي لنفسي فرصة جديدة لأحب زوجي وأجعله يشعر بحبي، سأعيد الحياة لنفسي وروحي .. وقلبي ..

ابتسمت (رشا) ابتسامة مشجعة وهي تقول في حماس: وستنجحين في ذلك .. أنا واثقة ..

❋ ❋ ❋

obeikan.com

obeikan.com

مذكرات مدرّسة

لم يجُل بذهني يوماً أن أكون من أولئك الذين يهتمون بكتابة مذكراتهم اليومية، ليقصون فيها أحداث حياتهم المختلفة في تؤدة، فهذا النشاط برأيي – يصلح لمن كانت حياته حافلة بالأحداث والدروس والإنجازات التي ينبغي إيصالها للأجيال القادمة كي يتعلموا منها، أما أنا فحياتي عادية جداً، قد تشبه حياة أي واحدة أخرى سواي ، فقد تزوجت (عبد الوهاب) بعد تخرجي من معهد إعداد المعلمات، وأصبحت ربة منزل تتوق إلى حلم طالما حلمت به كل امرأة ..

حلم الأمومة، والحقيقة أنني تزوجت لهذا السبب وحده، فلم أكن أطمح للرومانسية والحب كما تفكر الفتيات عادةً، دوماً كنت أشعر أن كل فتاة تحمل بداخلها غدة ما مسئولة عن الأمومة، تبدأ عملها غالباً بعد الزواج لتتوق الزوجة الجديدة إلى طفل صغير ينمو في أحشائها ويكبر معها، تحمله بين ذراعيها تهدهده وتطعمه، أما بالنسبة لي فالأمر مختلف، فقد بدا وكأن تلك الغدة لديّ قد بدأت نشاطها مبكراً جداً، ولم يكن أمامي سوى أن أتزوج أول عريس يتقدم لي وهو (عبد الوهاب) جارنا الذي طالما لاحقني بنظرات الإعجاب أينما ذهبت.

تزوجت (عبد الوهاب)، ولم أشعر بأن حياتي قد اتخذت منحنىً جديداً قط إلا حينما حملت بابني (مجدي) الذي أضاء حياتي بمجيئه للدنيا، وبينما يملأ المنزل بصراخه وبكائه كان يملأ جنبات قلبي بالسعادة والحب؛ مما انعكس على يومي وعلى معاملتي لزوجي الذي أصبح يراني نشيطة مبتسمة أكثر الوقت على الرغم من المشاق التي لاقيتها بعد ولادة (مجدي) من عدم انتظام النوم، وإرهاق متواصل ولحظات توتر وقلق حينما يتواصل بكاؤه أو يمرض، وقتها فقط شعرت أن حياتي أصبح لها طعمٌ مختلفٌ، أقتنص ساعات النوم القليلة التي أحظى بها من شدة إرهاقي في لهفةٍ، أصحو على صوت بكائه في تعب، بينما يرقص قلبي فرحاً وأنا أحمله بين ذراعيّ أو أراقبه وهو يرضع في سعادة.

بينما أخذ الأمر منحنى معاكس تماماً لدى زوجي، فقد لاحظ اهتمامي الزائد بـ (مجدي)، ولمّح إلى ذلك أكثر من مرة، لكني تجاهلته وتركته ينزوي في أعماق قلبي وذهني ليحتل (مجدي) الجانب الغالب منهما، حتى كبر ابني وصار في السادسة من عمره بعد مرور أجمل سنوات حياتي معه، بالرغم من معاناتي مع زوجي الذي تغيرت معاملته لابننا وأصبح كثير الشجار ويفتعل المشاكل افتعالاً، تاركاً داخلي وداخل ابنه ألماً عميقاً إزاء كلماته القاسية وعصبيته المفرطة، لكني سرعان ما كنت أفيق سريعاً، وأعود إلى ابني بكل كياني.

لكن قسوة زوجي تجلت في أبشع صورها في ذلك اليوم المشئوم، اليوم الذي استيقظت فيه من نومي أبحث عن ابني في لهفة ولا أجده، أخذت أبحث عنهما في كل مكان وأسأل كل من له صلة بزوجي دونما فائدة، حتى أتتني ورقة طلاقي من زوجي بالبريد مع رسالة بالآتي : (رأيت أن ابنكِ يحتل كل قلبكِ وأنه لا مكان لي فيه، فأردت أن أريحكِ منه ومني بعدما أصبحت لا شيء، لا تحاولي البحث عنا)

انتهت كلماته المقتضبة مع توقف الزمن في تلك اللحظة، وأنا مازلت لا أعي ما قرأته، هل سيغيب ابني عني للأبد؟ هل سأعيش بدونه ؟ وبعد البحث الطويل الدقيق لدى أصدقائنا ومعارفنا اكتشفت أن زوجي لم يترك أدنى أثر، فقط استقال من عمله واختفى .. هكذا، لم أحصل على أي

معلومة عن مكانه الحالي، وقضيت عامين وأنا أبحث عنه وعن ابني كالمحمومة حتى تملكني اليأس وأصبت بانهيار عصبي شديد، قضيت على إثره فترة طويلة حبيسة الفراش، ولم أقوَ على الخروج منه إلا بعد أن دفنت بداخلي ذكرى ولدي الوحيد في مكان قصيّ بأعماق قلبي، وعزمت على أن أعمل في مجالي، عُيِّنت بعدها في مدرسة ابتدائية يذكرني كل تلميذ فيها بابني الغائب، خاصةً وأنا أراقبهم وقت الانصراف وقد أتى والد أو والدة كل منهم لاصطحابه، بينما ابني .. لا أدري .. هل هو مثلهم الآن في مكانه الغامض ؟ أيرعاه أبوه جيداً أم يهمله ؟ وبالرغم من الألم الذي يعتصر قلبي يومياً إلا أنني أصررت على مواصلة عملي الذي وجدت فيه ضالتي المفقودة.

وفي العام الجديد بدأت بتفحص ملامح كل منهم جيداً كما أفعل معهم دوماً لعلي أجد بينهم ابني، لكني وجدت من يشبهه كثيراً، ولد وحيد يجلس بمفرده وقت الفسحة ويتعثر دائماً في رباط حذائه؛ فلم ألبث إلا أن أنحني وأربطه له بنفسي وهو يراقبني في حرج، ثم سألته : ما اسمك؟

- اسمي (عابد)

- ألا تعرف كيف تربط حذائك بمفردك يا (عابد) ؟

- إن أبي يربطه لي يومياً قبل ذهابي المدرسة، وهو لا يجيد ذلك.

- ولُم لا تربطه لك والدتك ؟

- لقد توفيت أمي.

اخترقت عبارته قلبي حتى الأعماق، وتدفقت فجأة كل تلك المشاعر التي ظلت حبيسة إياه منذ رحيل ابني ، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أربت على رأسه في حنان قائلة : اسمعني يا (عابد) .. سنكون صديقين، وستطلب مني أي شيء تريده، اتفقنا ؟ أومأ برأسه إيجاباً موافقاً وقد التمعت عيناه حماساً، اما أنا فقد ابتسمت في سرور لتبدأ قصتي مع (عابد)، لقد صرنا أكثر من صديقين، فنجلس معاً وقت الفسحة نمزح ونتحدث، كما استأذنت أباه في أن أصحبه يوماً في الأسبوع كي نخرج ونتنزه، وهكذا توطدت علاقتي بـ (عابد) الذي نجح في إحياء مشاعر الأمومة الحبيسة بداخلي منذ زمن طويل وإطلاقها حتى الآفاق.

حتى تغيب (عابد) عن المدرسة مما أصابني بالقلق عليه، فعزمت على الاتصال به والاطمئنان عليه، لكن والده أتى بنفسه في موعد الانصراف وطلب مقابلتي مباشرة : إن (عابد) لن يأتي مرة أخرى، سأنقل أوراقه من المدرسة.

سألته في هلع : لماذا ؟ ألا يرتاح ابنك معنا ؟

- بلى إنه يرتاح أكثر من اللازم، لقد تعلق ابني بكِ كثيراً، وهو ما لم أستطع تقبله، أصبح يحادثكِ هاتفياً أكثر من مرة في اليوم ليقص عليكِ دقائق يومه، تخرجان معاً وتقضيان وقتاً طويلاً جداً، حتى شعرت أنه تبدل، لم يصبح ابني الذي أعرفه، صار مدمناً لكِ إلى حد لا يصدق .

كنت أسمعه وأنا أهتف بداخلي .. هل سترحل به أنت أيضاً ؟ هل تتفننون معشر الرجال في إيلامنا وتعذيبنا ؟ لماذا تفعلون بنا ذلك ؟ ظلت تلك التساؤلات تموج برأسي ولم أدرِ بنفسي إلا بعد ان انصرف، حاولت الاتصال بـ(عابد) أكثر من مرة لأجد أن رقمه قد تغير ، ذهبت إلى منزله لكني لم أجده، وقد أخبرني أحد الجيران أن (عابداً) ووالده قد رحلا إلى مكان غير معلوم، شعرت أنني أعيش أبشع كابوس، لم لا يتركون لي السعادة ؟ لِم يصرون على انتزاعها مني دوماً في قسوة ؟!!

لكنني لم أنهر هذه المرة، فقد أصررت على المواجهة والصمود، سأعود لعملي لكن بعد قيامي بعملية جراحية مؤلمة لقلبي لأنزع منه حب (مجدي) و (عابد)، سأتحلى بقيلي من القسوة مثلما يفعل الجميع معي، فلم يعد لديّ أدنى قوة لألم آخر.

والآن، وبعد أن أصبحت مديرة المدرسة ، وبعد سنوات طويلة، أدركت أنني كنت على حق في قراري، فها قد هدأ الوجع، صحيح أن (مجدي) مازال جرحه بداخلي لم يلتئم بعد، لكنني أخشى الاقتراب منه حتى لا يصحو من جديد ويتجدد العذاب.

فرغت من الكتابة وأنا أتنهد في عمق حتى سمعت من يقول:

- لقد وصل المدير الجديد يا أبلة (هدى) ويود مقابلتكِ.

أومأت برأسي إيجاباً وأنا أنتظر دخول المدير الجديد للمدرسة والذي سيتسلم العمل بعد انتهاء فترة عملي ووصولي إلى سن التقاعد، ولم يكد ذلك الأخير يدلف إلى مكتبي حتى انعقد حاجباي في شدة، مد يده لي مصافحاً وهو يقول :

مرحباً يا أستاذة (هدى)

صافحته في حذر وأنا أسأله في بطء :

ألم نتقابل من قبل؟

ابتسم قائلاً : بلى .. تقابلنا .

ثم أردف في هدوء : أنا والد (عابد) .. هل تذكرينه ؟

اختلج قلبي في قوة وأنا أردد : عابد !!

عاد يقول : نعم .. ذلك الصبي الذي تعلق بكِ كثيراً في سنوات عمره الأولى، وبدلاً من ان أكافئكِ على رعايتكِ له وحنانكِ تجاهه .. انتزعته منكِ بلا رحمة.

أغلقت عيني في قوة وقد بدأ الجرح بالنزف من جديد وهو يكمل: لقد ساءت أحوال ابني كثيراً بعد أن تركتكِ ، كنت أحسب أن إبعادي إياه عنكِ هو الصواب، لكنَّني اكتشفت أنني كنت مخطئاً، وأصابني الندم عما فعلته بكِ ، ولما عدت إلى المدرسة لأطلب منكِ العودة إلى ابني وجدتكِ تركتِ المدرسة منذ زمن إثر ترقيتكِ، وقتها شعرت أن هذا عقابي جزاء ما سببته لكِ من ألم، أما ولدي فقد تغير للأسوأ بعد فراقكِ، وصار عصبياً عنيفاً بعد ما كان هادئاً مرحاً، لذا

ظللت أبحث عنكِ في جنون ، وخلال بحثي علمت ان زوجكِ قد فر بابنكِ الوحيد (مجدي) منذ أعوام طويلة إلى مكان غير معلوم، وكان هذا مبرراً كافياً لحنوكِ البالغ واهتمامكِ بابني، مما زاد من عذاب ضميري إزاء قسوتي البالغة عليكِ لدرجة لم أستطع معها مسامحة نفسي .

رمقته في صمت وهو يقوم بالضغط على جروحي كلها دفعة واحدة ويتركني أنزف بلا رحمة، بينما أكمل هو : لقد عثرت على (مجدي) ..

نهضت من مقعدي غير مصدقة فأردف: وجدت ان أعظم تعويض لكِ عما سببته لكِ من ألم هو أن أعيد لكِ ابنكِ، فاتصالاتي واسعة وعلى إثرها وجدت ابنكِ، لقد رحل هو وزوجكِ إلى محافظة أخرى لكني وجدتهما.

انفرجت شفتاي أخيراً بعد صمت طال وأنا أقول : هل وجدته بالفعل ؟

- نعم وجدته، إنه يحتل الآن منصباً مرموقاً، وستفخرين به.

سقطت على مقعدي محاولة استيعاب كل تلك المفاجآت المتتالية وأنا أسأله : وهل يعلم بأني أمه ؟

- لقد أخبرته بكل شيء ، إن (عبد الوهاب) زوجكِ السابق أخبره بأمر انفصالكما فقط أي أنه يعلم إنكِ مازلتِ على قيد الحياة، والآن بعد وفاة زوجكِ لم يعد هناك أي مانع لمعرفته بالحقيقة كاملة.

- هل مات (عبد الوهاب) ؟

- نعم، توفي منذ خمسة اعوام إثر نوبة قلبية في نفس الوقت الذي عثرت فيه على ابنكِ .

- وأين هو ؟ أين (مجدي) ؟

انطلــق فجــأة صــوت يهتــف : أنــا هنــا يــا أمــي . التفتت بكياني كله إلى مصدر الصوت لأجد شاباً طويلاً قوياً يحمل بقايا ملامح قديمة كنت قد دفنتها منذ زمن ، ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا أحتضنه في قوة مربتة على شعره أبغي إدخاله إلى خلاياي ليمتزج بها ويصبحا كياناً واحداً، وهو يبكي في حرقة، بينما أنظر إلى والد (عابد) في ذهول وهو يرمقنا دامع العينين قائلاً :

- إنكِ امرأة نادرة يا أستاذة (هدى)، أم حقيقية لم نرَ لها مثيلاً، ولأنكِ شخصية نادرة بحق فقد احتملتِ قسوتنا عليكِ في بسالة وتحمل، أنتِ لستِ مخطئة في شيء، إنما نحن المخطئون، نحن من رأينا أن في حبكِ هذا ضعفاً ومرضاً، بينما هو أكثر أنواع الحب نقاءً .

❊ ❊ ❊

obeikan.com

القتلة

بدا القمر المكتمل غاية في الروعة ذلك المساء الهادىء خاصةً مع تلك الهالة الدائمة من الضوء التي تحيطه وتتبعه في جميع أطواره وأينما ذهب، لكنها اليوم كانت تشع ضوءاً شديداً زاد من جماله السحاب المار بالبدر المتألق، فهو تارة يمر به ليخفيه كله أو بعضه، ثم يبتعد ليعود القمر ظاهراً للعيان مما أضفى عليه رونقاً خاصاً ، وكأن البدر يتوارى في خجل إثر نظرات (ماجد) العميقة له وقد بدت على وجهه علامات الشرود .

obeikan.com

إنه يتذكرها كلما رأى القمر، والبدر بالتحديد، لم ينسها أبداً على الرغم من انقطاع اتصالاتهما منذ فترة طويلة جداً تعدت العام والنصف، هي أيضاً كانت تعشق القمر وتتحدث عنه كثيراً، بل إنه كان يأتي لها بصور مميزة للقمر والبدر التقطها هو بنفسه كي يرى عينيها تبرقان في سعادة له وحده.

مخطيء من يتصور أن (البعيد عن العين بعيد عن القلب)، بل إن البعد المادي يزيد الأشواق ويلهب الذكريات إلى درجة كبيرة، ولو كانت المقولة صحيحة لما تعذب أحد وعانى إثر البعد، إننا نبتعد وننسى أن هناك رصيد هائل من الذكريات يسكن بداخلنا ويستيقظ في أي وقت ليثير الشجون والأحزان ربما أكثر من ذي قبل .

تنهد في عمق وهو يستعد لمغادرة الشرفة، ثم التقط هاتفه المحمول ليتصفح الأخبار بعض الوقت لكنه وجد نفسه فجأة يبحث عن حسابها على الفيس بوك ، كان واثقاً أنه لن يجده فقد قامت بحظره منذ زمن ، لكنه يبحث على أمل ولو ضئيل أن تكون قد رفعت الحظر ويتمكن من معرفة أي خبر عنها.

لقد ابتعد هو أيضاً إزاء ابتعادها، ظننت أنه بابتعاده هذا قد نسيها لكنها مخطئة، لا تدري أن قلبه ينبض باسمها في كل وقت، إنها تصحبه أينما ذهب، في كل لحظة..في كل خاطرة، ماذا كان عليه أن يفعل!! لقد أخطأ حينما صرّح لها بجزء من مشاعره نحوها وهو ليس مستعدا للارتباط بعد،

والحقيقة أنها كانت على علم بمشاعره تلك، فهاته الفتيات يمتلكن حاسة سادسة او سابعة تمكنهن من معرفة من يعجب بهن قبل أن يعرف هو نفسه أنه معجب بأحد ؛ لقد فوجيء أنها تبادله نفس المشاعر وكم اسعده ذلك وأدهشه في نفس الوقت ، لكنها انتظرت منه أن يتخذ أية خطوة رسمية، شخصيتها وتربيتها أبت أن تستمر في علاقة لا تعلم إلام تنتهي.

إنه ليس مستعداً للارتباط ، يرى أنه غير مؤهل لتحمل المسئولية بعد ، لذا فقد ابتعد ، من ثم عادت هي لتحيط قلبها وحياتها بأسوار عالية وحصون قوية لا تسمح لأحد بالاقتراب .

وجد نفسه ينهض مرة اخرى إلى حيث الشرفة ليرمق القمر المتألق بنظرة طويلة قبل أن يقول بصوت خافت : إنك تدور الكرة الأرضية كلها، اذهب إليها، أخبرها أنني أحبها، ولن أرضى بزوجة سواها، اطلب منها أن تعطيَني فرصة أخرى وتفتح لي قلبها من جديد، ولن أخذلها هذه المرة، أقسم لك .

- أكنت نائماً ؟

أجاب وهو يحاول إبقاء عينيه مفتوحتين : أنتِ تعلمين أنني انصرفت أمس من العمل في وقت متأخر.

- أتركك لتفيق إذن ثم أعاود الاتصال بك مرة أخرى .

- كلا .. انتظري ، أنا منتبه .

تنهدت وهي تقول : جميع الزملاء في المكتب اتفقوا على شراء هدية لـ (أمل)، فماذا عنك؟

انعقد حاجباه في شدة وهو يسألها: هدية !! وما المناسبة؟

أجابت في نفاد صبر: هل كنت نائماً مع أهل الكهف!!

إن عقد قرانها آخر الأسبوع .

انتفض فجأة من فراشه وقد تبخر كل أثر للنوم من عينيه وهو يردد في ذهول: عقد قرانها !! كيف ومتى؟!!

- لقد تم الأمر بسرعة كبيرة، ولم تخبر أحداً بأي شيء حتى تحدد موعد عقد القران، من ثم أخبرتني، واتفق الزملاء على شراء هدية جماعية لها بدلاً من أن يأتي كل منا بهدية بمفرده، لذا اتصلت بك .

قبضت أصابعه على الهاتف في شدة وصمت لوقت طويل فقالت في حذر: (ماجد) .. هل عدت للنوم مرة أخرى ؟

أجابها في اقتضاب : أنا مضطر لإنهاء المكالمة الآن يا (مروة)، سأعاود الاتصال بكِ لاحقاً .

أنهى الاتصال بسرعة وظل محدقاً في الهاتف بضع ثوان، ثم أخذ يبحث عن رقم معين في عصبية شديدة حتى وجده، فضغط على زر الاتصال ولم يكد يسمع صوت محدثه حتى قال: أنا (ماجد) يا (أمل) .. هل هذا صحيح ؟

سألته في حذر : ما هو الصحيح ؟

- أنكِ ستتزوجين !!

- بإذن الله، هل اتصلت لتهنئني ؟

- كلا ، اتصلت لأسألكِ .. لماذا ؟

- لماذا ماذا ؟

- لماذا تتزوجين شخصاً آخر وأنتِ تعلمين جيداً أنني أحبكِ، وأنتِ أيضاً تحبينني، لا يمكنكِ الإنكار أو المداراة، أنا واثق مما اقول.

ساد الصمت بعض الوقت ثم أجابت في حزم: اسمعني جيداً يا (ماجد) .. في البداية أريدك أن تطرد من ذهنك كل احتمال لأن أكون قد قبلت بتلك الزيجة لأنساك أو أثير غيرتك أو أدفعك لاتخاذ خطوة إيجابية ما مثلما تفعل الفتيات عادةً في المسلسلات والأفلام العربية، فلست أنا هذه الفتاة، أنا أعقل وأنضج من أن أضيع حياتي وحياة رجل لا ذنب له في تلك الألاعيب النفسية.

ثم تنهدت في عمق وهي تردف : ومادمت لا تريد الإنكار ولا المداراة فسأخبرك بكل شيء، أعترف أنني في الماضي شعرت بالميل الشديد نحوك، لا أدري أهو حب أم ماذا، وألمحت لك بشعوري هذا، لكنك تجاهلتني وتظاهرت بأنك لم تلحظ ذلك على الرغم من تلميحاتك المستمرة السابقة، يبدو أنك ككل رجل شرقي يسعى نحو فتاة بعينها حتى تقع في حبائله، ثم يزهد فيها ويلقيها وراء ظهره إذا ما صدر منها أي تجاوب أو تلميح ولو بسيط، انتظرتك طويلاً وأنت

تعلم ذلك، ولما لم أجد فائدة من انتظاري ابتعدت، أنهيت تلك المرحلة من حياتي وبدأت بالفعل بالانغماس في العمل لأنساك، تألمت كثيراً في البداية ، ثم لم ألبث أن شعرت بالتحسن، كنت مقتنعة تماماً ان الشخص الذي سأرتبط به لابد أن يجد قلبي فارغاً تماماً من أي شخص آخر سواه، لاذنب له في تجاربي العاطفية السابقة، لذا فقد أفرغت قلبي من أية رواسب تذكرني بك، وحينما أتى الشخص المناسب أخيراً كنت بالفعل على أهبة الاستعداد لاستقباله .. أما أنت.. فلم يعد لك مكان في حياتي.

أخذ يهتف في ضراعة: سأعود، سأتقدم لخطبتكِ، سأعوضكِ عن كل ما مررتِ به بسببي، لكن لا تتزوجي سواي، إذا فعلتِ فلن أتزوج أبداً .

قالت في صرامة وهي تنهي المكالمة: لقد تعديت حدودك يا (ماجد)، الزمن لا يعود إلى الوراء، وبالنسبة لأمر زواجك من عدمه فهذا الشأن يخصك وحدك، إلى اللقاء.

ظل يرمق الهاتف في أسى وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، لماذا ابتعد ولم يقتحم حياتها مرة أخرى؟ لماذا لم يحارب لأجلها؟ لا فائدة من حياته الآن، سيعيش كالميت، لقد قتله الضعف.. قتله التردد .. قتله الصمت.. قتله الخوف ، حتى فات الأوان .

❋ ❋ ❋

الشريط الأخضر

انعكست أشعة الشمس الذهبية الدافئة على المساحات الخضراء الموجودة بذلك النادي لتضفي عليها رونقاً خاصاً يبعث على الأمل والتفاؤل، وقد انتصف النهار واكتظ المكان بالشباب والفتيات والأطفال يمارس كل منهم نشاطاً مختلفاً .. فمنهم من يكتفي بالجلوس والاستمتاع بالطبيعة الساحرة، ومنهم من يتجه إلى ملعب التنس أو الطاولة، ومنهم من يمارس رياضة العدو .. وغيرها من الرياضات، كان الكل يتحرك في حيوية ونشاط..

obeikan.com

عدا (سامح) الذي جلس على إحدى مقاعد النادي يتأمل في صمت فتاة وحيدة تجلس منذ الصباح ثابتة لم تبرح مكانها، تارة تقرأ وتارة اخرى تتأمل ما حولها في شرود، يغلفها الصمت والسكون حيث لم تتبادل الحديث مع أحد قط، يتابعها منذ الصباح بنظراته المليئة بالفضول والإعجاب، حتى قطع عليه جلسته تلك من يقول: أمازلت في جلستك تلك ؟

التفت (سامح) إلى صديقه (سيف) الذي تفوه بذلك السؤال منذ لحظات، ثم تنهد وهو يجيب : لا يمكنني التوقف عن مراقبتها، شعور غريب يدفعني لتأملها كل صباح وهي تجلس جلستها تلك منذ أسبوع تقريباً، فهي تأتي بانتظام في الصباح الباكر وتجلس جلستها هذه التي لم تتبدل حتى تنصرف في الظهيرة .

ابتسم (سيف) وهو يقول : هو حب إذن !!

هز (سامح) رأسه نفياً وهو يجيب: كلا ليس حباً، لنقل إنه انجذاب عادي أو إعجاب، لا أدري، لكنه شعور غامض ينتابني عند رؤيتها يجعلني لا أستطيع الكف عن مراقبتها.

ثم أردف وهو يتأملها مجدداً: إنني أفكر جدياً في الذهاب إليها ومحادثتها.

هتف (سيف) في دهشة : أتتحدث إلى فتاة لا تعرفها ؟

- عندما أتحدث إليها سنتعرف حتماً.

- أنت جريء جداً .. ألا تخشى أن توبخك او تزجرك ؟

أجابه (سامح) وهو ينهض بالفعل : سنرى.

اقترب من مجلس الفتاة وقال لها في هدوء : صباح الخير ..

رفعت عينيها غليه في بطء ورمقته للحظات في صمت فأردف : أنا (سامح مكاوي) عضو في النادي منذ فترة طويلة، وقد لاحظت وجودكِ هنا باستمرار وأرجو ان نتعرف.

رددت الفتاة في دهشة : نتعرف؟!!

جذب مقعداً ليجلس وهو يكمل: أرجو ألا أتسبب في إزعاجكِ او مضايقتكِ، ولو طلبتِ مني الانصراف فسأفعل على الفور.

قالت الفتاة في هدوء: لا تنصرف، اسمي (مها) وأنا بحاجة إلى من يتحدث إليّ ويجلس معي.

انتفخت أوداجه وأخذ يتحدث عن نفسه في حماس وهي تستمع إليه شاردة، حتى سألته فجأة : كم الساعة الآن؟

بوغت (سامح) بالسؤال لكنه أجابها : إن الساعة الآن تقترب من الواحدة والنصف.

obeikan.com

اتسعت عيناها في هلع وهي تقول: هل يمكنك أن توصلني إلي مدرسة شقيقتي الصغرى؟ لقد أتى موعد انصرافها، لابد أن أذهب لاصطحابها من المدرسة.

رمقها في دهشة للحظات ثم قال في استسلام : تفضلي .

❋ ❋ ❋

أخذ (سامح) يرمق الطالبات اللاتي ينصرفن من المدرسة الابتدائية وقد غادرته (مها) لتلحق بأختها ودلفت منذ قليل إلى الداخل، بينما هو ينتظرها بالخارج في صبر وقد بدأ بتأنيب نفسه على تسرعه في التحدث إلى فتاة لا يعرفها، ولم تمض دقائق حتى أبصر (مها) تخرج من المدرسة ممسكة بيدها طفلة في السابعة من عمرها تربط شعرها بشريط أخضر طويل وترتدي ملابس المدرسة، وبينما يتأهب لاستقبالهما إذ انطلقت فجأة صرخة من داخل المدرسة تقول: ابنتي .. لقد اختطفت ابنتي ..

أسرعت (مها) بسيرها إلى حيث ينتظر (سامح) وهي تقول في سرعة : هيا .. لننصرف الآن .

قاطعها صراخ بعض الفتيات وقد اتجهت نحوها امرأة في منتصف العمر يلاحقها بعض العاملين بالمدرسة وهي تقول في هلع: اتركي ابنتي أيتها المجرمة . صرخت (مها) في شراسة وهم يحاولون أخذ الطفلة منها وهي تقاومهم في عنف، بينما (سامح) يشاهد كل هذا في دهشة بالغة، حتى هتف أحدهم : لنبلغ الشرطة.

وبعد قليل .. كان (سامح) و(مها) والطفلة في قسم الشرطة مع المرأة التي تقسم أن تلك الطفلة ابنتها وأن (مها) اختطفتها، في حين تؤكد تلك الأخيرة أنها شقيقتها الصغرى (مايسه) وأن المرأة محتالة .

أفاق (سامح) من دهشته على سؤال الشرطي له: ما معلوماتك عن الموضوع ؟

انتفض فجأة إثر السؤال لكنه أجاب بسرعة: سيدي، أنا لا أعرف (مها) شخصياً، لقد رأيتها في النادي منذ حوالي الساعة، فطلبت مني أن أوصلها لتصطحب شقيقتها الصغرى من المدرسة، فأتيت معها وحدث ما حدث، وهذا كل ما أعرفه .

التفت الشرطي إلى المرأة قائلاً: وأنتِ .. هل تعرفين تلك الفتاة ؟

أجابت الأم الباكية: كلا، لا أعرفها، ولم أرها من قبل، وهي لا تنتمي لأسرتنا، لقد كنت أتبادل الحديث مع إحدى معلمات ابنتي حتى وجدتها فجأة قد أتت واصطحبت تلك الأخيرة معها إلى الخارج، فصرخت لأوقفها.

بدت الحيرة الشديدة على وجه الشرطي وهو يدير عينيه بينهم جميعاً، وبينما هو في حيرته تلك إذ اقتحمت المكان امرأة مسنة لتقول للشرطي في سرعة: سيدي .. أنا والدة (مها) تلك الفتاة المتهمة باختطاف الطفلة.

أدار الشرطي عينيه إليها فأردفت: إن ابنتي (مها) مريضة، وها هي شهادات معالجتها لدى إحدى الأطباء النفسيين، فقد أصيبت بالمرض بعد وفاة شقيقتها الصغرى (مايسه) إثر حادث سير بينما هي تصطحبها من المدرسة ، وللأسف لفظت (مايسه) انفاسها أمام عينيها ، مما تسبب في حدوث صدمة نفسية هائلة لها وأودعت إحدى دور الرعاية النفسية لفترة ، حتى سمح الأطباء بخروجها ، لكنها ظلت في قابعة في المنزل لا تريد الخروج ، فأشرت عليها أنا أن تذهب للنادي كي تتعرف على أصدقاء جدد وتستنشق الهواء النقي وسط الأشجار، فكانت تذهب منذ الصباح الباكر وتعود ظهراً.

سألها الشرطي: ومادامت ابنتكِ مريضة .. فكيف لا يصحبها أحد أثناء خروجها ؟ كيف تسمحون لها بالخروج وحدها ؟

- سيدي .. أنا امرأة مسنة وليس لي أبناء سوى (مها) و(مايسه) رحمها الله، وليس لنا أقارب أو أصدقاء يمكن لهم اصطحابها ومراقبتها.

وأخيراً بعد عدة تساؤلات وإجراءات سمح الشرطي للأم ان تصطحب طفلتها الصغيرة، وكذلك قامت المرأة المسنة باصطحاب (مها) التي بدا على وجهها الحزن العميق وهي

تقـول فـي خفـوت : أمـي .. إن (مايســة) أضــاعت شـريط شعرها الأخضر مرة اخرى ..

ارتسمت الشفقة والحنان على وجه أمها وهي تقول : لا بأس يا عزيزتي .. سنبتاع لها واحداً آخر.

بينمـا (سـامح) مـازال يقـف مراقبـاً إيـاهم جميعـاً فـي ذهـول، حتى سأله الشرطي فجأة : وأنت .. ألـن تنصـرف ؟ أم تبغـي قضاء بعض الوقت معنا ؟

أجابه (سامح) في سرعة: بلى .. سأنصرف، وداعاً يا سيدي .

ثم غادر قسم الشرطة وهو يقسم بينـه وبين نفسـه أن ينصـت إلـى نصـائح صـديقه (سـيف) وأن يكـف عـن الحـديث مـع غرباء.. والأهم .. أنه شفي من الفضول.

❊ ❊ ❊

اللعبة

انطلق الأزيز المميز لآلة التصوير أتبعها خروج بعض الأوراق، فامتدت يد تلتقطها وتتأملها في ظفر، تبعتها صاحبتها بتنهيدة ارتياح قوية وهي تغلفها في ملف بلاستيكي بعناية، ثم تنهض وتغادر المبنى بأكمله لتستقل سيارتها الفارهة القابعة بالأسفل وتنطلق بها والنشوة تملؤها، فها هي ذي الآن تستطيع الزج بذلك الحقير (عماد) في السجن لمدة طويلة والانتقام منه، كان عاملاً بسيطاً لدى زوجها الراحل، أحبته منذ النظرة الأولى وأصبحت من أجله زوجة خائنة، لكن للأسف ..

obeikan.com

لقد رآهما زوجها في إحدى مقابلاتهما معاً، علت شفتيها ابتسامة ساخرة عند هذا الجزء وهي تتذكر كيف أن زوجها الأحمق أصابته نوبة قلبية عند رؤيته لهما بدلاً من أن ينتقم لشرفه، وسقط صريعاً على الفور قبل أن يتخذ أي إجراء بصددهما، وهكذا أتتها الفرصة النادرة على طبق من ذهب، فقد ورثت هي زوجها شرعاً وقانوناً، ثم تزوجت (عماد) بعد انتهاء فترة العدة، وتركته يتحكم في كل شيء بنفسه، ومن هنا بدأت حياته في الازدهار، لقد أحبته بجنون، وبدلاً من أن يظل عاملاً بسيطاً صار فجأة رجل أعمال مشهور وناجح يُشار إليه بالبنان، وكل هذا بفضلها وبفضل أموالها.

كانت تقود السيارة وتلك الخواطر ترد إلى ذهنها، فمطت شفتيها في غل عندما تذكرت أن ذلك الوغد الآن ينوي الزواج من امرأة أخرى بدلاً من أن يدين لها بالفضل، فقد جعلت سكرتيرته الخاصة (لبنى) تنقل إليها أسراره الدقيقة، وهي من أخبرها بأمر زواجه القادم، لا احد يعرف ماهية العروس المرتقبة، لكن لاشك أنها (إنجي) سيدة الأعمال المعروفة التي بدأت في الظهور مع زوجها في كل مكان، وصارت هي على الهامش بعد أن أعطته كل شيء.

وصلت سيارتها إلى وجهتها فأوقفتها وترجلت منها متجهة إلى ذلك المبنى الشاهق المحاط برجال الأمن من كل مكان، ومازالت تتذكر كيف جعلت (لبنى) تحصل لها على أوراق تدين زوجها لتزجّ به في السجن وأعطتها إياها، وها

هي ذي تحمل الأصل معها متجهة به إلى النيابة العامة، في حين احتفظت بصور الأوراق في مكان أمين .

كانت قد وصلت إلى مكتب النائب العام فاستأذنت في الدخول، ثم وضعت أمامه الأوراق وهي تقول :

- لديّ قضية ضخمة عن فساد رجل الأعمال المعروف (عماد الشامي) .

تاملها النائب العام في هدوء ثم أشار إليها بالجلوس وتناول الأوراق منها قائلاً في هدوء : ومن تكونين ؟

- أنا (سلوى عبد الستار) زوجته .

زمّ الرجل شفتيه في فهم ثم أشار لرجل بجواره أن يتناول الأوراق ليتفحصها فأخذها منه هذا الأخير، وغادر الحجرة كلها في حين سألها النائب العام: هل لي في إلقاء بعض الأسئلة عليكِ ؟

أومأت برأسها إيجاباً في ثقة، فبدأ في سؤالها أسئلة تقليدية عن سنها ومسكنها وزواجها وعملها وهكذا، حتى أتى الرجل الذي خرج بالأوراق ليضعها أمامه مرة أخرى ويحدجه بنظرة ذات مغزى، فعقد النائب العام أصابعه أمام وجهه، وهو يقول :

- أنا آسف يا مدام (سلوى) .. تلك الأوراق مزورة ، وأنا مضطر أن ألقي القبض عليكِ بتهمة التزوير .

❊ ❊ ❊

obeikan.com

رفعت (سلوى) عينيها في بطء تتأمل من أتى لزيارتها في النيابة، بعد أن قضت أياماً سوداء في الحبس الاحتياطي لها رأت خلالها ما لم تره من قبل، حتى أخبروها ان هناك امرأة تبغي زيارتها ، وها هي الآن ترنو إلى القادم لتجدها.. (لبنى) .. سكرتيرة زوجها الخاصة ..

جلست تلك الأخيرة على المقعد المواجه لها في بطء مستفز، ووضعت ساقاً على ساق في تحدٍّ وهي تشعل سيجارة وتسألها في برود : كيف حالكِ يا مدام؟

انقضت عليها (سلوى) فجأة صارخة: أجرؤتِ على خداعي أيتها الحقيرة ؟!! تعطيني اوراقاً زائفة لتتخلصي مني !! ستدفعين الثمن غالياً ..

دفعتها (لبنى) في قسوة حتى أعادتها إلى مقعدها وهي تقول في حدة : هل نسيتِ أين نحن ؟ إننا في النيابة ، وهجومكِ ذلك قد يتسبب في إيذائكِ.

- إيذائي !! أكثر من ذلك...عادت (لبنى) لجلستها السابقة وهي تجيب: لقد أعطيتكِ أوراقاً زائفة عمداً، كي نتخلص منكِ سوياً، أنا و (عماد) .

رددت (سلوى) في دهشة : (عماد) ؟!!!!

- نعم .. نسيت أن أخبركِ أن زوجته القادمة ليست (إنجي) كما ظننتِ ، إنها أنا .

رمقتها (سلوى) في ذهول ولم تنبس ببنت شفة، بينما (لبنى) تكمل : لقد اتفقت و(عماد) على الزواج، فأنا وهو نفهم بعضنا البعض، لكن المشكلة تكمن فيكِ أنتِ ، كل شيء باسمكِ، كما أنكِ لم تكوني لتتركينا ننعم بأموالكِ وأنتِ على قيد الحياة.

نفثت (لبنى) دخان سيجارتها في هدوء وهي تكمل : ولأن القتل أمر درامي للغاية، فقد اتفقنا على هذه الخطة ، لقد أخبرته بالطبع عن رغبتكِ في التجسس عليه من خلالي، وأصبحت أنقل إليكِ ما أريد منكِ أن تعرفيه فقط ، حتى اقترحت عليكِ تسليمكِ ما لديّ من أوراق تدينه مقابل المزيد من المال، وأعطيتكِ أوراقاً زائفة كي نحقق هدفين معاً ثم أخذت تعد على أصابعها قائلة :

- أولاً .. نتخلص منكِ بتهمة التزوير، وثانياً وهو الأهم.. يتمكن المحامي من رفع قضية حجر عليكِ حيث أنكِ امرأة مزورة غير مؤتمنة على إدارة كل تلك الأموال والشركات، ومن ثم تتجه الولاية إلى زوجكِ .. (عماد).. الذي سيصبح زوجي .

شعرت (سلوى) بنبضات قلبها تتسارع وبأن الرؤية باتت مشوشة، لمحت من خلالها (لبنى) تنهض وتعدل ثيابها قائلة في شماتة : الوادع يا مدام (سلوى).

لم تتمكن تلك الأخيرة من الرد، بل شعرت بأن الأرض تميد بهـا وقـد تـوالى أمامهـا كـل شـيء .. خيانتهـا لزوجهـا مـع (عماد) .. زواجها منه .. مستقبلها المظلم الذي ينتظرها في غياهب السجون .. أملاكها التي ضاعت .. كل شـيء .. كل شيء ..

❊ ❊ ❊

obeikan.com

الآن أراك

دارت (ندى) ببصرها في أرجاء الكلية بعد انتهاء يومها الدراسي، ثم زفرت في ضيق حينما لمحت صديقتها (سلمى) جالسة على إحدى المقاعد بفناء الكلية وقد بدا عليها الهمّ والحزن، فدنت منها وجلست بجوارها وهي تقول :

- ماذا حدث هذه المرة؟ هل تجاهلكِ كالعادة؟

أجابتها (سلمى) وهي تتنهد في حزن: إنه لم يتجاهلني فحسب، لقد تركني وأنا أحدّثه وانصرف بكل قلة ذوق، وهاهوذا يقف مع زملائه وزميلاته يقهقه ويمزح وكأني غير موجودة بالمرة.

obeikan.com

مطت (ندى) شفتيها في عدم رضا وهي تقول : أنتِ تعذبين نفسكِ هكذا، عامان الآن وأنتِ تراقبينه أينما ذهب وتتابعين أخباره في شغف، تحاولين التقرب منه بكل الطرق، وهو لا يعيركِ ادنى انتباه.

نظرت إليها (سلمى) دامعة العينين وهي تقول : وماذا بيدي لأفعل سوى ذلك يا (ندى)، إنني أحبه منذ كنا بالسنة الأولى في الكلية !!

أشارت (ندى) برأسها نفياً قائلة: حبيبتي، هذا ليس حباً، الحب الحقيقي ليس به عذاب أو دموع، أنتِ متعلقة به فحسب، وشتان ما بين الحب والتعلق، التعلق يعذب صاحبه ويشغله، يقيلق مضجعه ليل نهار، لا يعود في رأسه ولا في قلبه سوى من تعلق به فقط، يربط القلب بحبل متين مؤلم لا يمكنه الفكاك منه مع أنه يدميه ويعذبه، الحب أي شيء خلاف ذلك يا (سلمى)، وليتكِ تعلقتِ بشاب يستحق قلبكِ، إن (تامر) شاب عابث .. مغرور، لا يعرف الحب، يجد متعته ولذته في صداقة الفتيات وقضاء وقت المحاضرات في الكافيتريا، إنه حتى فاشل دراسياً، وها نحن في السنة الثالثة وهو بعد في السنة الثانية بالرغم من كوننا التحقنا بالكلية في نفس العام.

عادت (سلمى) تقول في مرارة: وماذا يمكنني أن أفعل يا (ندى) ؟ أنا لست سعيدة على الإطلاق، قلبي يتألم في كل

ثانية، ذهني لا يمكنه التركيز في أي شيء سواه، إنني أستذكر محاضراتي بصعوبة بالغة، لا أنا أجد منه حباً متبادلاً يريحني .. ولا يمكنني نسيانه وإلقاؤه من قلبي لأرتاح .. أريد أن أرتاح يا (ندى)..

قالت تلك الأخيرة في حماس: إذن الحل أن تقطعي حبل التعلق بنفسكِ يا (سلمى)، انزعيه من قلبك بلا رحمة، كفّي عن متابعته في الكلية أو على الفيس بوك، احظري صفحته الشخصية ولا تراقبيه من حساب آخر، خذي العزم من الآن على نسيانه وإلقاؤه وراء ظهركِ للأبد ، حرري قلبكِ من هذا التعلق، أفيقي لمذاكرتكِ ومستقبلكِ حتى تلتقين بالشخص الذي يستحق قلبكِ وحبكِ بالفعل، اقطعي كل السبل المؤدية إليه .

رمقتها (سلمى) في تردد وهي تقول: وهل سأفلح يا (ندى)؟ هل تظنين أن هذا كافٍ ؟

- البداية صعبة وستشعرين حتماً ببعض الألم إثر تمزيقكِ لذلك القيد، لكنكِ بعدها ستذوقين طعم الحرية الحق، افعليها يا (سلمى) .. افعليها الآن .

ساد الصمت لثوان نهضت بعدها (سلمى) وهي تقول في حزم : نعم .. سأفعلها ..

كان نجاح (سلمى) في ذلك العام لا يصدق على غير المعتاد، ففي سنواتها السابقة كان أقصى أمانيها أن تجتاز العام فحسب ولو بتقدير (مقبول)، أما اليوم فإن أغلب تقديراتها كانت(جيد جداً)، وكم شعرت بالفرح والسعادة

إزاء هذا الإنجاز، وقد استمعت إلى نصيحة (ندى) بالفعل، ظلت يومين تفكر وتقنع نفسها بالأمر حتى اتخذت القرار، وبالفعل بدأت باستئصال (تامر) وكل ما يخصه من حياتها، كان ذلك مؤلماً في البداية حتى إنها حظرته على الفيس بوك وهي تبكي، لكن بعد مرور عدة أيام أحست بالراحة والهدوء يجتاحان قلبها وكأنه بالفعل قد تحرر من قيد التعلق كما أخبرتها (ندى).

وها هو ذا عامها الثالث بالكلية ينتهي بنجاح منقطع النظير، جعلها تستعيد جزء كبير جداً من ثقتها بنفسها ، وقد أصبح (تامر) مجرد طيف عابر يمر برأسها بين الحين والآخر، حتى أنها لم تعد تهتم لرؤية نتيجته والاطمئنان عليه كما تفعل في كل مرة.

وفي ذلك اليوم ذهبت (سلمى) لإحضار جدول المحاضرات الخاص بعامها الجديد في الجامعة، وبينما هي منهمكة بنقله في دفترها إذ بصوت هاديء يقول : مساء الخير يا آنسة (سلمى) ..

لم تكد عيناها تقعان على المتحدث حتى اتسعت عيناها في ذهول ، إنه (تامر) ، لقد أتى بنفسه ليحدّثها وهو لم يفعل ذلك من قبل، كان دائماً ما يتجاهلها ويعذبها، وكم أوجعها ذلك كثيراً، أما الآن فقد أصبحت أخرى وذهبت (سلمى) القديمة بلا رجعة، لو كان تحدث إليها في الماضي من تلقاء نفسه كما فعل منذ لحظات لما صدقت نفسها ولأقبلت عليه بكل كيانها، أما الآن فقد صارت أقوى، ويمكنها مواجهته دون خوف.

لذا فقد أجابت في هدوء: مساء النور يا أستاذ (تامر) ابتسم هذا الأخير في ثقة وهو يقول : مبارك على نجاحكِ هذا العام، لقد رأيت نتيجتكِ بنفسي .

عقدت حاجبيها في استنكار وهي تقول: ولِم كل هذا الاهتمام؟

عاد يقول متردداً: آنسة (سلمى) .. أنا أهتم لأمركِ كثيراً ومنذ وقت طويل، لكني لم أكن أجيد إظهار هذا الاهتمام ، ما رأيكِ لو تبادلنا أرقام هواتفنا ؟ إننا زملاء وحتماً .....

أخذ يكمل حديثه وهي ترمقه في شرود، نعم .. الآن أراك بحق، بعد ما زال حبل التعلق من قلبي للأبد أصبحت أراك بوضوح، إنك شخص أناني، مغرور كما قالت (ندى)، لا تستحق قلبي ولا لحظة واحدة من تفكيري، كم كنت حمقاء حينما أحببتك، شاب عابث يبغي ضمي إلى قائمة معجبيه من الفتيات لا أكثر.
أفاقت من شرودها على سؤاله وهو يقول : ما رأيكِ ؟
رمقته في صمت لثوان ثم أجابته في حدة : آسفة يا أستاذ (تامر)، أنا لا أعطي هاتفي لغرباء، واسمح لي بالانصراف الآن.. قالتها وهي تنصرف بالفعل من أمامه، تاركةً إياه خلفها ينظر إليها في دهشة، فلم يسبق لفتاة أن تجاهلته هكذا، وهي بالذات كان يعلم جيداً أنها غارقة في حبه.
أما هي .. فقد انصرفت دون أن تلتفت للوراء وقد علت شفتيها بسمة من نوع آخر .. بسمة انتصار.

❊ ❊ ❊

الجوع

بدت القاهرة كمدينة للموتى في هذا الوقت المبكر من الصباح وقد أشرقت الشمس لتوها اللهم بعض الغيوم التي مازالت عالقة بالسماء تمنع أشعة الشمس الذهبية الدافئة من إشاعة النشاط والحيوية بذلك الشارع الغارق في سكون رهيب، لم يقطعه إلا رجل عجوز يرتدي جلباباً بسيطاً ويجر بيده عربة خشبية يتراص عليها عشراتٌ من ثمار البرتقال الطازجة والتي بدا بريقها بعد اصطدام إحدى خيوط اشعة الشمس التي استطاعت الفرار من الغيوم، فيبتسم صاحبها العجوز في رضا وتفاؤل وهو يدفع العربة في تؤدة وأناة حتى وصل بها إلى السوق .

obeikan.com

وضعها جانباً وسط عشرات العربات غيرها والتي تحمل أصناف متنوعة من الفاكهة والخضر الطازجة ، وبدأ بعض الباعة بترتيب بضاعتهم ورشها بالماء تمهيداً ليوم آخر من طلب الرزق، وقتما تبدأ ربات البيوت وغيرهن من التوافد للسوق تدريجياً لشراء مستلزمات يومهم، وما أن استقر بائع البرتقال العجوز بعربته حتى اشار لزميله الواقف بين بعض أنواع الخضر ليعدها ويرتبها قائلاً :

- صباح الخير يا (أبو يوسف) ..

التفت إليه هذا الأخير قائلاً بابتسامة مشرقة :

- صباح النور يا عم (جابر).
- ما أجمل خضرواتك الطازجة .. كيف حال الأسعار اليوم؟

مط (أبو يوسف) شفتيه في عدم رضا وهو يجيب : مازالت كما هي ترتفع بجنون، الناس غاضبة ونحن كذلك، ولا ندري ماذا نفعل إزاء الأمر، كان الله في عون الجميع.

لم يجب عم (جابر) حيث أتته سيدة تسأله عن سعر البرتقال، وبدأ السوق في الاكتظاظ بالناس مع انتصاف النهار ودارت عجلة العمل الرتيبة في نشاط وكل بائع يحمد الله على جنيهاته القليلة التي يقتنصها من بين براثن الفقر، داعياً الله من أعماق قلبه أن يدوم رزقه هذا الذي يحميه وأطفاله من الجوع والتشرد.

وفجأة .. تجمد السوق بأكمله من باعة وزبائن إثر صرخات آتية من بعيد تهتف في هلع : البلدية .. البلدية..

opeikan.com

لم يكد يسمع عم (جابر) الهتافات حتى تلفت حوله في ذعر حائر لا يدرِ ماذا يفعل ببضاعته بينما بدأ (أبو يوسف) بالفعل بجمع بضاعته المعروضة في داخل مرأب قديم بجواره، فهتف به عم (جابر) : خذ البرتقال معك كذلك.

لم يكد يتم عبارته حتى ظهر ٣ أفراد ، اثنان منهم يرتدون زي أمناء الشرطة وأحدهم يرتدي ثياباً عادية ، اخذوا يقلبون العربات المحملة بالخضر والفاكهة في قسوة وسط صراخ أصحابها غير عابئين بما يتساقط على الأرض من الثمار المختلفة وقد امتلأ السوق بالصراخ والدموع وفاحت منه رائحة الذعر والألم بعد ما كان غارقاً في الرضا والتفاؤل ، ولم يكتفون بذلك فحسب ، بل كانوا يحملون أكياساً كبيرة فارغة يضعون بها ما أمكن وضعه من ثمار وسط نظرات الباعة الضارعة اليائسة ، ورمق أحدهم عم (جابر) العجوز في سخرية مراقباً إياه وهو يحاول جمع البرتقال الذي تناثر على الأرض بعد أن انقلبت عربته رأساً على عقب وقال : برتقالك يبدو شهياً أيها العجوز، لن نلقي القبض عليك فاطمئن، لكننا بالتأكيد نريد تذوق برتقالك هذا.

قال عبارته تلك وهو يأخذ بالفعل من الثمار الساقطة على الأرض بينما يراقبه عم (جابر) بعينين دامعتين يملؤهما القهر والذل حتى انتهى أمين الشرطة من جمع البرتقال، فرماه بابتسامة أخرى وانصرف إلى غيره يجمع ما يحلو له من ثمار .

* * *

ابتسم أحد أمناء الشرطة في تهكم وهو يقوم بتقشير برتقالة من تلك التي حصل عليها من عم (جابر) العجوز وهو يقول: الحمقى لم يتساءلوا لحظة .. لماذا لم نلقِ القبض على أحد منهم !!

أجابه آخر وهو يفرغ الأكياس التي حصلوا عليها من السوق ويضع محتواها في صندوق كبير : إنهم مثلنا .. يرتجفون عند سماع كلمة (بلدية)، وكل معلوماتهم عنها أنهم أناس كل مهمتهم أن يحيلوا حياتهم جحيماً من حين لآخر.

أردف الثالث ذو الثياب المدنية: لولا تلك الملابس القديمة لأمناء الشرطة والتي تحصلنا عليها من وكالة البلح ما كنا نجحنا في مغامرتنا تلك.

تساءل الأول: هل سنجرب غداً في منطقة أخرى ؟

أومأ ذو الثياب المدنية برأسه نفياً وهو يجيب : كلا، سننتظر بعض الوقت حتى لا نلفت الأنظار إلينا، وحتى ينتهي مخزوننا الذي جمعناه من الطعام .

- وهل سيقتصر غذاؤنا في تلك الأيام على الفاكهة والخضر فقط ؟ دون لحم ؟ ودون أرز ؟!!

تنهد أحدهم مجيباً : فلتحمد الله على أننا تحصلنا على تلك الكمية من الفاكهة والخضر، إنها على الأقل ثمار نظيفة بدلاً من بحثنا في القمامة على الطعام، وإن وجدناه كان ملوثاً بالقاذورات والفضلات.

- وماذا سنفعل بعد انتهاء هذا المخزون ؟

أجابـه الأول وهـو يـنهض: سـنتدبر أمرنـا وقتهـا، المهـم أن نفكر في الخطوة التالية .

- الخطوة التالية بصدد ماذا ؟

- بصدد ما حدث ، لو جرؤ أحد هؤلاء الباعة وذهب إلى الشرطة ليسأل عن بضاعته التي صادرتها البلديـة فسيعرف الحقيقة وأننا حفنة من المحتالين .

هتف احدهم في حدة : إننا في مركب واحدة، هم يعملون لكسب رزقهم ورزق أبناءهم، أما نحن فجوعى على الدوام، هم على الأقل يمتلكون عملاً أما نحن .. فنعيش في أي خرابة مهجورة نتوارى فيها عن أعين القوم، ونتحصل على غذاءنا عن طريق القمامة.

- لكن أطفالهم أيضاً سيجوعون مثلنا؛ ويزيد عددنا بدلاً من أن ينقص ..

عاد يهتف : إن ما حصلنا عليه في يوم واحد سيكفينا عدة أيام وربما أسابيع، أما هم فسيعودون إلى عملهم بعد يوم أو يومين على الأكثر .

ثم عاد يردف في مرارة : إننا نعيش كالفئران، مهددون بالجوع ونعيش على القمامة، وكل يوم بالنسبة لنا بمثابة رحلة للبحث عن الغذاء الذي بات همنا الوحيد.

تنهد أحدهم وهو يردف: صدقني يا صديقي .. هم يعملون لاتقاء الجوع، ونحن نسرق لسد الجوع، صحيح أننا نحتال عليهم ونسرقهم لكن لنسد جوعنا لم نقتل أحداً ولم نرق دماً.

أقصى أمانينا الآن أن نتمكن من تنفيذ خطتنا تلك أكثر من مرة في بضعة مناطق أخرى، ونحرص على ألا تكشف الشرطة أمرنا وبذلك نضمن الأمان من الجوع لأيام عديدة، وبعدها قد نضطر للأكل من القمامة ثانية حتى لا نموت من الجوع ونعود إلى حياة الفئران .

❊ ❊ ❊

opeikan.com

وأنتم لا تعلمون

تصاعد صوت آذان المغرب مدوياً في أنحاء القاهرة ليملأ نداء (الله أكبر) سماء العاصمة التي سادها الصمت التام، وبدت شوارعها شبه خالية في أول أيام شهر رمضان المبارك، حيث تجمع الصائمون على موائدهم يفطرون ويمزحون، ثم انتهى الآذان وتصاعد بدلاً منه أصوات الملاعق والأطباق وقد تداخل معه صوت الازدراد والمضغ، حتى قطع هذه الأصوات جميعها صوت جديد يقول في مرح : هآنذا قد أمكنني اللحاق بكم اخيراً .

obeikan.com

توقف الجميع عن الأكل للحظات وهم يفسحون المكان للقادم الجديد، بينما قال والده : تأخرت كالعادة يا (ماهر) ..

أردف هذا الأخير وهو يجذب مقعداً ويبدأ بتناول الطعام:

- اعذرني يا أبي .. فالشوارع مزدحمة للغاية ، وقد استغرقت حوالي نصف ساعة أبحث عن مكان مناسب لسيارتي.

قالت عمته في لوم : كان ينبغي عليك الانصراف مبكراً من العمل ، فاليوم حالة استثنائية، إنه أول أيام شهر رمضان الذي تتجمع فيه العائلة بأكملها .

أردفت والدته في مرح : دعيه يا (فوقية) .. المهم انه وصل بسلامة الله ولم ننته من الإفطار بعد.

ثم غمزت بعينها وهي تقول في خبث : إن حماته تحبه..

ضحك (ماهر) وهو يقول : إلا هذا، أنا لا أريدها من الأصل، ومازلت على رأيي ولن أتزوج .

رمقته عمته (فوقية) في عتاب وهي تقول : أيعقل هذا !!

شاب مثلك في ريعان الشباب، يعمل بوظيفة مرموقة وجاهز لكل تكاليف الزواج، إضافة إلى أخلاقه وأدبه وتربيته، وتريد إلقاء كل هذا وراء ظهرك والمكوث هكذا بدون زواج؟!!

ثم أردفت مشيرة إلى أحد الجالسين: لقد تزوج إخوتك الأصغر منك سناً، وأنت أكبرهم مازلت مقاطعاً الزواج برمته.

أجابها مبتسماً: لعل الوقت لم يحن بعد، عندما يأمر الله تعالى بزواجي فسأتزوج حتماً.

عقدت حاجبيها في غضب لكنه تجاهلها وانشغل كل منهم بطعامه ، عين واحدة فقط ظلت تراقب (ماهر) بكل كيانها، لم تستطع أن ترفع عينيها عنه ، وأخذت رغماً عنها تختلس النظر إليه وهو يأكل .. يمزح ..

حتى التقت عيناها فجأة بعيني (فوقية) اللتين لمحت فيهما نظرات العتاب والزجر، فخفضت عينها سريعاً إلى طبقها حتى انتهى الإفطار، ونهض الرجال لصلاة المغرب بينما أخذت النساء يجمعن الأطباق وبقايا الطعام في صمت، وبينما تقوم (فوقية) بترتيب المطبخ إذ قالت في هدوء :

- نظراتكِ لـ (ماهر) كانت واضحة جداً يا (شروق).

ثم التفتت إلى تلك الأخيرة قائلة : يجب أن تنتبهي لذلك جيداً خاصةً أثناء التجمعات العائلية ، فقد يلحظ أحدهم نظراتكِ هذه.

تنهدت (شروق) في عمق وهي تقول : وماذا يفيد بذلك يا عمتي ؟ فهو لا يفكر في الزواج ، وأنا أمامه طوال الوقت، ولو كان يبغي التقدم إليّ لفعل.

اقتربت منها (فوقية) بحنان وأمسكت بذقنها بين أصابعها قائلة : أتريدين أن أتحدث مع خالتكِ (أم ماهر) وأطلب منها عرض الأمر عليه ؟

امتعض وجه (شروق) وهي تقول بسرعة : لا يا عمتي أرجوكِ، إن في ذلك إهانة كبرى لي، لن أتحمل الموقف،

ولن اتحمل رفضه لي، خاصةً أن الجميع يعلم أنه عازف عن الزواج .

ثم زفرت في قوة وهي تقول: إنني أكتفي بدعائي في صلاتي دوماً أن يرزقني الله إياه زوجاً، فأنا أحبه منذ الطفولة حينما كنا نذهب لزيارة خالتي وأبناءها، وهو أقربهم مني سناً، ظللت فترة طويلة اشعر بشعور غريب من الارتباك واللهفة عندما أراه هو بالذات على عكس بقية أولاد خالتي، أفاجيء بنفسي وقد انتابني الخجل والتلعثم كلما نظرت إلى وجهه، ثم أدركت بعد سنوات طويلة أن هذا الشعور الغامض ما هو إلا .. حب للأسف.

جاء دور (فوقية) لتتنهد بدورها وهي تقول : اتركي الأمر لله يا (شروق)، وثقي بأنه سبحانه وتعالى سيختار لكِ الخير دوماً، ولو كان (ماهر) هو رزقكِ المكتوب عند ربكِ فستتزوجيه حتماً ولو خطب ألف فتاة .

بدا الألم على وجه (شروق) وهي تقول : المشكلة أنه ابن خالتي، أي تكثر رؤيتي له في أي مناسبة عائلية أو تجمع مثلما حدث اليوم ، وهذا يؤلمني.

ثم أردفت وهي تنظر إلى عمتها في ضراعة : إنني أتعذب كل يوم، لا أتخيل نفسي زوجة لسواه، لو كنت فتاة سيئة لأوقعته في حبائلي بطرق رخيصة ، لكني لست كذلك، ولن افعل ذلك أبداً، لأني لا أريد لحياتي معه ان تبدأ بالحيلة والمعاصي.

ابتسمت (فوقية) وهي تقول : لذا ثقي أن الله تعالى سيعوضكِ، فهو سبحانه يعلم عذابكِ ويرى دموعكِ ، وسيرضيكِ حتماً .

اغرورقت عينا (شروق) بالدموع وهي تقول من أعماق قلبها : يارب .

❋ ❋ ❋

هرعت (شمس) إلى حجرة شقيقتها (شروق) وهي تهتف : (ماهر) يا (شروق) ...

سألتها تلك الأخيرة في جزع : ماذا حدث له؟

أجابتها وهي تريها الهاتف المحمول : انظري إلى هذا الخبر الذي نشره (محمود) ابن خالتي .. انظري .. التهمت عينا (شروق) كلمات الخبر في سرعة لتنتهي إلى صورة (ماهر) الموجودة بأسفل الخبر الذي كان عنوانه (فقيد الشباب).

وقبل أن تستوعب الخبر كانت (شمس) قد هرعت إلى أمها لتخبرها بما قرأته بينما تصلبت (شروق) في مكانها كالذاهلة وهي تستمع إلى الاتصالات التي تجريها أمها للتأكد من الخبر، وما إن انتهت حتى وضعت سماعة الهاتف في وجوم وحزن بالغين لتتفجر الدموع من عينَيْ (شمس) وأمها تقول : لقد توفي (ماهر) في حادثة سيارة صباح اليوم.

انسالت الدموع من عينيّ (شروق) ساخنة وهي تقول غير مصدقة وبصوت اختنق بالبكاء : كلا .. إنه لم يمت.. هذا كذب ، إن (ماهر) لم يمت.

أخذت تردد بذلك في انهيار بينما انخرطت أمها و (شمس) في نحيب شديد، وهتفت أمها من بين دموعها : لنحمد الله تعالى أنه لم يتزوج ويترك خلفه زوجة وأولاداً .. ثم أردفت وهي تعود للبكاء: لعل تلك هي حكمة الله في عزوفه عن الزواج طيلة هذه السنوات.

اخترقت عبارتها أذن (شروق) وقد ازداد بكاؤها وهي ترمق أمها التي أخذت تستعد للذهاب إلى خالتها لتعزيتها وهي مازالت تردد بداخلها : هل اختفى حقاً من على وجه الأرض ؟ هل لم يعد باقياً من ذكراه سوى بعض الصور؟ هذا مستحيل .. مستحيل ..

دق جرس الباب في هذه اللحظة فهرعت لتفتحه لتجد عمتها (فوقية) وقد احمرت عيناها من فرط البكاء، فارتمت بين ذراعيها وهي تقول : (ماهر) مات يا عمتي .. (ماهر) مات.

ربتت عليها تلك الأخيرة وهي تقول في إشفاق : أخبرتكِ من قبل ان الله تعالى حكيم ولا يخفى عليه عذابكِ.

ثم أردفت وهي تنظر في عين (شروق) مباشرة : لو كان الله تعالى أجاب دعاءكِ وتزوجتما لكنتِ الآن أرملة ولكان حزنكِ عليه مضاعفاً، لكن الآن تتجلى رحمة الله وحكمته في تأخيره إجابة دعاءكِ.

اغرورقت عينا (شروق) بالدموع إثر عبارتها بينما أكملت عمتها: صدقيني يا بنيتي .. سيتضاءل حزنكِ بالتدريج، وستعودين افضل من ذي قبل بعد مغادرة (ماهر) لقلبكِ إلى الأبد، (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، ولعل هذه المرة هى آخر عهدكِ بالدموع.

❊ ❊ ❊

opeikan.com

الفهرس

نصف وجه.. ٥
وانغلقت الدائرة.................................... ١١
انعكاس... ١٦
من أجل الشيكولاتة................................. ٢٢
الحاجز ٢٨
حلقة الدموع ٣٨
العودة من النهاية................................. ٤٩
الثمن ٥٥
سر الصورة...................................... ٦٢
بلا رجوع....................................... ٦٨
لا مكان لك ٧٤
مذكرات مدرسة.................................... ٨٠
القتلة ٨٩
الشريط الأخضر................................... ٩٥
اللعبة ١٠٢
الآن أراك...................................... ١٠٨
الجوع ١١٣
وأنتم لا تعلمون.................................. ١١٩

❊ ❊ ❊

obeikan.com

أميرة توفيق

كاتبة مصرية من مواليد القاهرة ، تخرجت من كلية الزراعة جامعة القاهرة ، عملت بعض الوقت كمحررة في إحدى المجلات ثم تركتها واتجهت إلى الكتابة الحرة من خواطر ومقالات مختلفة من خلال موقع مقال كلاود.

صدر لها كتاب إلكتروني بعنوان (افتح قلبك).

حالياً تقوم بكتابة مقالات الرأي في جريدة اليوم الجديد،

والجدير بالذكر أن هذه المجموعة القصصية أولى أعمالها الأدبية المطبوعة على الإطلاق.

obeikan.com

الإسكندرية   ج . م . ع

٠١٠١٨٨٣١٣٦١ (+٢)

٥٧٦٥٧٧٧ /٠٣ (+٢)

حسناء للنشر والتوزيع

obeikan.com